مكتبة دير السريان

يوم الدينونة الرهيب

اعداد

الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السريان

مكتبة دير السريان

يوم الدينونة الرهيب

اعداد الأنبا متاؤس

مكتبة دير السريان العامر

تقدم

يوم الدينونة الرهيب

من أقوال الآباء

إعداد

الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السريان العامر

أســم الكتاب : يوم الدينونة الرهيب

إعـــــــداد : الأنبا متاؤس اسقف ورئيس دير السريان العامر

الطـــــبعة : الأولى

المطـــــبعة : امبريال بعابدين ت : ٢٣٩١٤٦٧٠ ف : ٢٣٩٠٢٩٨٨

البريد الإلكترونى : E-mail: imperial.press@yahoo.com

رقم الإيداع : ١٩٢٩٧ / ٢٠١٤

البابا الأنبا تواضروس الثانى

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

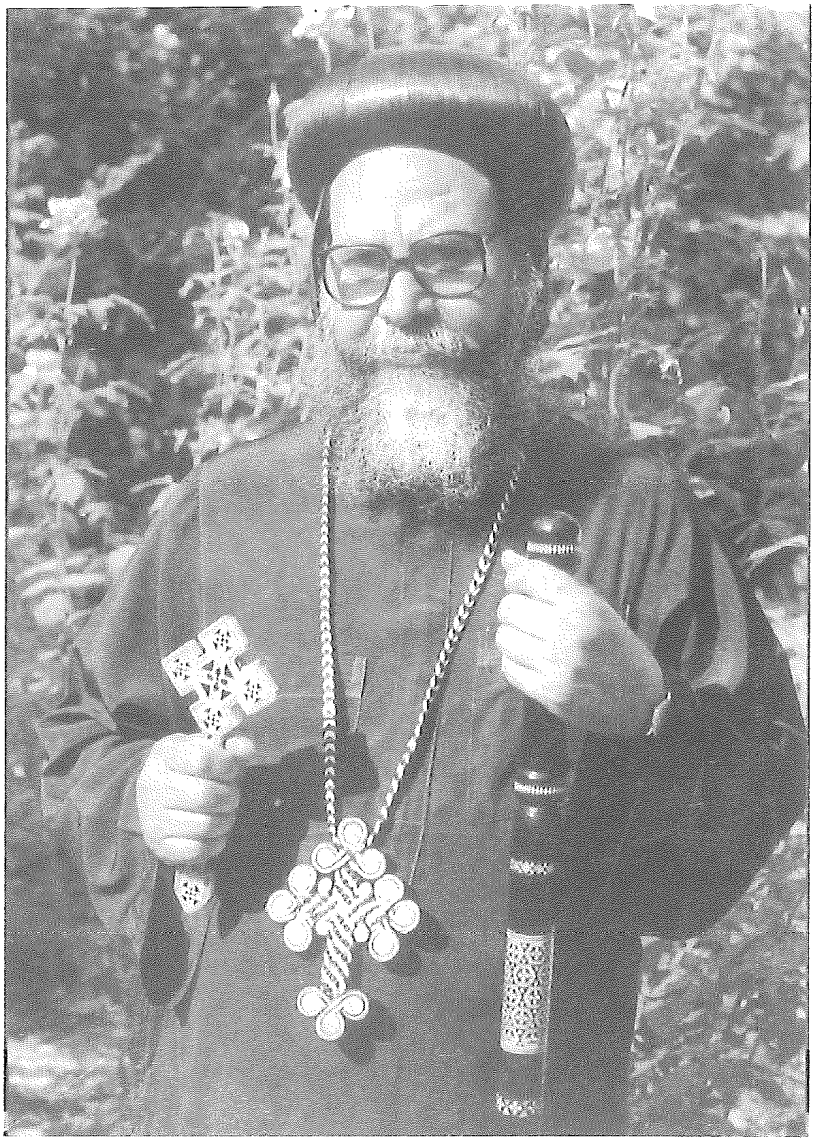

نيافة الحبر الجليل الانبا متاؤس

اسقف ورئيس دير السريان العامر

في تعليم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد

بتعديل يعوز الله سبحانه وتعالى بنسخ ميمر
من قول القديس مارافرام قاله من اجل الديونه
المعدة للخطاة . ومجازاة الابرار بسلام الرب امين

قال يا احبائي ينبغي لنا ان نتفكر في امر الديونه . ونبكي الليل والنهار
ولا نتمنى النار التي لا تطفى ولا نتمنى اسم الله لانه اذا ذكر طرد الشياطين
فحبيت الصلاة بالمزامير فتم الله . وحبيت عباد الشياطين فتم رجز الله .
وحبيت تكون المصاحف والقراءة الروحانية . فتم فرح الصديقين
وسلامة الخاطيين وفرح عند الملايكة اي شيا ننتفع به يا
احبائي لمن نفرح هاهنا ساعة واحدة . ونعذب بعد ذلك
الى الابد لانه ليس يستقيم لاحد ان يلهو في العالم ويفرح في
الاخرة لان الذي يفرح هاهنا يستوجب قول الرب الذي
قاله في الانجيل المقدس الويل للضاحكين فانهم سينوحون ويبكون
هناك . فاما الذين يتوبون لله بالبكا هم الذين قال عنهم الانجيل

باسم الآب والابن والروح القدس الله الواحد آمين

تقديم

نقول في قانون الإيمان الذي نكرره كثيراً في صلواتنا:

" وأيضاً يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس لملكه انقضاء " وفي آخره نقول باللحن الكبير: " وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي آمين ".

وإذا رتبنا هذه الأحداث ترتيباً زمنياً تكون كالآتي:

١ – المجيء الثاني: قال الملاكان للرسل بعد صعود الرب إلى السماء: " إِنَّ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هَكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقاً إِلَى السَّمَاءِ " (أع ١: ١١).

٢ – القيامة العامة: " تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَسْمَعُ جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ صَوْتَهُ فَيَخْرُجُ الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ " (يو ٥: ٢٨، ٢٩).

٣ – الدينونة العامة: " وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ مَعَهُ فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ

وَيَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ فَيُمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا يُمَيِّزُ الرَّاعِي الْخِرَافَ مِنَ الْجِدَاءِ فَيُقِيمُ الْخِرَافَ عَنْ يَمِينِهِ وَالْجِدَاءَ عَنِ الْيَسَارِ ثُمَّ يَقُولُ الْمَلِكُ لِلَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ: تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ .. ثُمَّ يَقُولُ أَيْضاً لِلَّذِينَ عَنِ الْيَسَارِ: اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ .. فَيَمْضِي هَؤُلاَءِ إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ وَالأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ "

(مت ٢٥: ٣١ – ٤٦).

٤ – حياة الدهر الآتي بقسميها: ملكوت السماوات للأبرار، وجهنم النار للأشرار لأن الإنسان بعد موته يُدفن جسده في القبر أما روحه فتذهب إلى مكان الانتظار: فردوس النعيم للأرواح البارة والجحيم للأرواح الشريرة. وتظل هكذا حتى المجيء الثاني للمسيح والقيامة العامة لكل الراقدين ثم الدينونة العامة وبعد صدور الحكم يذهب القديسون روحاً وجسداً إلى ملكوت السماوات والأشرار روحاً وجسداً إلى جهنم النار ويبقون هناك إلى ما لا نهاية.

هذا الكتاب الذي بين يديك أيها القارئ العزيز عن المجيء الثاني للمسيح وقيامة الأموات والدينونة العامة الرهيبة وحياة الدهر الآتي، وكل هذه المواضيع الهامة من أقوال كبار الآباء القديسين معلمي البيعة مثل القديس مار أفرام السرياني والقديس يعقوب السروجي والقديس يوحنا ذهبي الفم والأنبا يوساب الأبح، انتقيناها من بطون المخطوطات وانتفعنا بها ونريدك أيها القارئ العزيز أن تقرأها وتنتفع بها أيضاً، لتعمل حساب هذه الأحداث الجسيمة وتستعد لذلك اليوم الرهيب يوم الدينونة العظيم، الذي يفرح به الأبرار حينما يسمعون الرب يقول: " هَا أَنَا آتِي سَرِيعاً وَأُجْرَتِي مَعِي لأُجَازِيَ كُلَّ وَاحِدٍ كَمَا يَكُونُ عَمَلُهُ " (رؤ ٢٢: ١٢) ويقولون: " تَعَالَ أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ " (رؤ ٢٢: ٢٠)، أما الأشرار فيخافون ويرتعبون ويقولون بخوف ورعدة ويأس: " لِلْجِبَالِ وَالصُّخُورِ: اُسْقُطِي عَلَيْنَا وَأَخْفِينَا عَنْ وَجْهِ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَعَنْ غَضَبِ الْحَمَلِ، لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ يَوْمُ غَضَبِهِ الْعَظِيمُ. وَمَنْ يَسْتَطِيعُ الْوُقُوفَ؟ " (رؤ ٦: ١٦) وعنهم قال الرب بفمه الطاهر: " حِينَئِذٍ يَبْتَدِئُونَ يَقُولُونَ لِلْجِبَالِ: اسْقُطِي عَلَيْنَا وَلِلآكَامِ: غَطِّينَا " (لو ٢٣: ٣٠).

فيجب علينا يا أحباء المسيح أن نتفكر في هذا اليوم الرهيب ونجتهد لتكون حياتنا بعفة ونقاوة وأمانة صحيحة وننقي أنفسنا بالتوبة من كل دنس الجسد والروح ونطرح عنا أعمال الظلمة والشر ولا نسير سيرة رديئة بل نسير زمان غربتنا بخوف الله (١بط ١ : ١٧). ونعمل الأعمال التي ترضي الله ونبتعد عما يغضبه ونقول: أعنا يا الله على رضاك، أعنا على العمل بوصاياك، أعنا على سكرات الموت وما قبل الموت وما بعد الموت حتى نكون مستعدين لهذا اليوم العظيم مصغين إلى صوت النبي القائل: " اسْتَعِدَّ لِلِقَاءِ إِلَهِكَ " (عاموس ٤ : ١٢).

الله يساعدنا جميعاً على رضاه وعلى العمل بوصاياه. بشفاعة أمنا الطاهرة مريم وصلوات أبينا الطوباوي البابا المكرم الأنبا تواضروس الثاني.

ولإلهنا كل مجد وكرامة إلى الأبد آمين.

الأنبا متاؤس

أسقف دير السريان العامر

صوم الرسل ٢٠١٤م

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين
نبتدئ بعون الله سبحانه وتعالى بنسخ ميمر من قول القديس مار أفرام قاله من أجل الدينونة المعدة للخطاة ومجازاة الأبرار بسلام الرب آمين [1].

يا أحبائي ينبغي لنا أن نتفكر في أمر الدينونة ونبكي الليل والنهار ولا ننسى النار التي لا تطفأ ولا ننسى اسم الله لأنه إذا ذكر اسم الله طرد الشياطين فحيث الصلاة بالمزامير نكون مع الله. وحيثما تكون عبادة للشياطين يكون غضب الله وحيث يكون الإنجيل والقراءة الروحانية يكون فرح للصديقين ورجوع وتوبة للخاطئين وفرح عند الملائكة. أي شيء ننتفع به يا أحبائي عندما نفرح ههنا ساعة واحدة ونعذب بعد ذلك إلى الأبد. لأنه لا يستقيم لأحد أن يلهو في هذا العالم ثم يفرح في الآخرة فإن الذي يفرح هنا فرح عالمي يستوجب قول الرب في إنجيله المقدس: " وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الضَّاحِكُونَ الآنَ لأَنَّكُمْ سَتَحْزَنُونَ وَتَبْكُونَ " [2]، أما الذين يتوبون لله بالبكاء فهم الذين قال عنهم أيضاً في الإنجيل: " طُوبَاكُمْ أَيُّهَا الْبَاكُونَ الآنَ

---

(1) مخطوط رقم ٣١٤ ميامر بمكتبة دير السريان العامر.

(٢) لو ٦: ٢٥.

لأَنَّكُمْ سَتَضْحَكُونَ "[1]. فلنعلم الآن جيداً يا إخوتي أن جميع أقطار العالم لا تنفعنا شيئاً في تلك الساعة فلا يعين الواحد الآخر فلا يستطيع أن ينفع الأخ أخاه ولا الأب ابنه ولا الأم ابنتها ولا الصديق صديقه ولا يقدر الابن أن ينفع أباه فكل واحد يحمل وسقه ويقف أمام الديان العادل يسمع القضية التي تخرج عليه إما يكون من الذين يقال لهم تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملك المعد لكم أو من الذين يقال لهم ابعدوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وجنوده. فلهذا يا محبي المسيح يجب علينا أن نتفكر في هذا اليوم ونجتهد لتكون حياتنا بعفة ونقاوة وأمانة صحيحة كما يعلمنا الكتاب بأن ننقي أنفسنا من كل دنس الجسد والروح ونطرح عنا أعمال الظلمة وأشكال الإثم ولا نسير سيرة رديئة وإذا عملنا أعياد الشهداء فلنذكر الضعفاء والأرامل والأيتام والغرباء والمساكين والخرس والعمي والمخلعين والذين في السجون والذين في البراري والجبال والمغاير وشقوق الأرض لكي تكون أعيادنا أعياداً روحانية وليست أعياداً جسدانية. فلا نعمل أعياداً كما يعيد العالم بل نرتفع عنهم لا مثل الأمر الذي نصنع بل كما يليق بنا نحن المسيحيون لئلا نحسب مع

---

(١) لو ٦: ٢١.

عباد الأصنام ويتم فينا المكتوب أن الشعب جلسوا للأكل والشرب وقاموا للعب واللهو فلنترك هذه الأشياء للذين ليس لهم رجاء في سلام الرب. فنحن المسيحيين نكرم الشهداء والقديسين بالمزامير والتماجيد والتسابيح والتهليل الروحاني ولا نكلل أبواب بيوتنا بالريحان والورود كالوثنيين والغير مؤمنين بل بالصليب الكريم المحيي. هذا الصليب الإلهي يظهر عند انقضاء العالم عند مجيء ربنا يسوع المسيح الثاني من السماء بسبح عظيم مع أجناد ملائكته المقدسين. فيكون ذلك للأعداء عثرة وفزعاً وحزناً أما للمؤمنين يكون فرحاً ورجاءً ونوراً. فما يأتي في آخر الأزمان يفوق العقل والفكر ولا نقدر أن نعبر عنه بالكلام. فالويل لي يا أحبائي ويا إخوتي عندما أتذكر تلك الساعة فتأخذني رعدة وفزع فمن يستطيع أن يعلم بذلك اليوم المخوف وأي فم يقدر أن ينطق به وأي أذن تطيق أن تسمع عنه. فالسماوات لا تطيق أن تحتمل في تلك الساعة لأن ذلك اليوم لم يكن مثله في كل الأجيال. فإن رأينا برقاً وسمعنا رعداً شديداً نرتعب ونخر على الأرض فزعين فكيف نحتمل سماع صوت البوق الذي من السماء الذي بصوته يقيم الموتى الذين في القبو منذ أول الدهور إلى تلك اللحظة من صديقين وخطاة. تأمل كيف العظام المتفرقة تتجمع وتتآلف؟ وكيف يقوم كل

واحد من موضعه ويجتمعون كلهم معاً إلى الدينونة؟ اعلم ذلك كله بأمر الملك العظيم فإنه يأمر الأرض فتعطي موتاها والبحر أيضاً كذلك حتى من أكله وحش أو طير سيقوم وشعرة واحدة لا تتخلف. ففي ذلك اليوم تظلم الشمس ويسوَّد القمر وتتساقط النجوم والسماء كلها تنطوي مثل الدرج وتكون صيحة عظيمة تقول: " هوذا الرب قد جاء هوذا الديان قادم هوذا ملك الملوك قد ظهر هوذا قاضي القضاة قد أتى ليدين الأحياء والأموات ". ثم يرسل الله ملائكته ليجمعوا عبيده المختارين من الأرض كلها. ثم يجلس ملك الدهور على كرسي الدينونة وحوله ربوات الملائكة تقف بخشوع، ويكون هناك أرض جديدة ليسكنها الأبرار ومن ناحية أخرى نار شديدة ليسكنها الخطاة. ونقف جميعاً بين يدي السيد المسيح ليعطي كل واحد منا جواباً عما فعل، فكل واحد ينظر أعماله واقفة بين يديه خيراً كانت أم شراً. فالذين سلكوا الطريق الضيق وتابوا توبة حقيقية فاضلة والذين كانوا يرحمون المساكين ويضيفون الغرباء يقومون بفرح وتهليل عظيم منتظرين الرجاء والمجازاة من ربنا يسوع المسيح لأنه يأتي بالفرح الأبدي للذين تعبوا وجاهدوا بالسهر والصوم والبكاء والصلوات والقراءة والتأمل حينئذ يكلل الرحومين ومضيفي الغرباء

ومربين الأيتام ويعطي الطوبى للذين صبروا على الشدائد والأحزان ويعزي الذين ناحوا على خطاياهم ويرفع الذين تمسكنوا من أجل اسمه ولم يحبوا العالم ولا ما فيه ورفضوا خيراته من أجل الخيرات السمائية.

أما الذين عاشوا بالغفلة فإنهم ينكسون رؤوسهم وينحون قائلين: ويل لنا كم من زمان ضيعناه بالتهاون واللعب ويل لنا كيف لم نصوم ويل لنا كيف لم نسهر وننوح على خطايانا؟!! كنا في زمان التوبة نضحك ونتنعم ونتنزه حتى جازت سنيننا بغير ثمرة. ويل لنا كيف لم نرحم المساكين فالآن لم نُرحَم. الآن نتنهد تنهداً ببكاءٍ مرٍ فما المنفعة لنا؟

فيجب علينا يا إخوتي الأحباء أن نهتم من أجل تلك الساعة فنقدم توبة لئلا نخزى لذلك أوصى ربنا يسوع المسيح أن ندخل من الباب الضيق، فطوبى للتائبين والذين يسهرون في الصلوات والأصوام، طوبى للمتيقظين لأعمال الرحمة، طوبى للذين يهتمون كل يوم بخلاص نفوسهم. طوبى للذين يقرعون باب الملك المسيح بصبر وطول روح. طوبى للذي يهتم بنفسه ولا يكثر الفحص فيما لا ينفعه من أمور الآخرين. طوبى للذي طرح وسق خطاياه بالتوبة، طوبى للذي أعد له زيتاً قبل أن

يغلق الباب. طوبى لذلك العبد الذي يأتي سيده فيجده ساهراً ويفعل هكذا. طوبى لكل من يقرع باب مراحم الله وتعطفه فإنه سيفتح له بلا محالة، لأنه ليس كإنسان يكذب فلقد قال لنا: " اسْأَلُوا تُعْطَوْا. اطْلُبُوا تَجِدُوا. اقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ " فلنهرب إليه يا إخوتي الأحباء بالتوبة قائلين له: " لقد خلقتنا فلا تسمح بهلاكنا ". فهو الذي قال لنا: " ارْجِعُوا إِلَيَّ يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ فَأَرْجِعَ إِلَيْكُمْ "، وأيضاً قال: " مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ لاَ أُخْرِجْهُ خَارِجاً " فيا ربنا يسوع المسيح أنت إلهنا وخالقنا ولك التسبيح والكرامة والسجود والشكر إلى دهر الدهور كلها آمين.

الدينونة وتخشع النفس

المقال السابع عشر للقديس مار أفرام السرياني [1]

هلم يا إخوتي اسمعوا مشورة أفرام الخاطئ فقد يأتي إلينا يا أحبائي ذلك اليوم المخوف والمرعب ونحن هنا متوانون طارحون عنا هذا التفكير وغير مؤثرين في أن نتفطن في عبور هذا الزمان اليسير. فينبغي علينا أن نحرص على التوبة ونستغفر الله لأن ها الأيام والشهور والسنين تعبر كمنام وكظل يزول ويأتي المسيح الإله العظيم. بالحقيقة يا إخوتي إنه يوم مخيف ومرهوب للذين لم يؤثروا أن يعملوا مشيئة الله أو يريدوا أن يخلصوا. فأتضرع إذاً إليكم يا إخوتي في أن نطرح عنا الاهتمام بالأمور الأرضية لأن كافة الأشياء تزول فكل ما هو على الأرض سيباد ولا ينفعنا شيء سوى الأعمال الصالحة التي فعلناها هنا فكل واحد منا مزمع أن يحمل أقواله وأعماله قدام مجلس القضاء الحاكم العادل ... فيا إخوتي هناك إشهار للأعمال وفحص عن الأفكار والأقوال.

خوف عظيم ورعدة عظيمة يا أحبائي يا ترى مَنْ لا يرتعد ومَنْ لا ينتحب فهناك تظهر كل الأفعال التي فعلها كل أحد في النور أو

---

(1) مخطوط ٢٠٠ ميامر وعظية بمكتبة دير السريان العامر.

الظلمة. فكل واحد يحمل ثمار أعماله وأقواله وأفكاره فالصديقون يحملون ثمراً جيداً وناضجاً والقديسون يحملون ثمراً حسناً نضارته والشهداء يحملون فخر صبرهم على العذابات والعقوبات التي تحملوها والنساك يحملون النسك المعطر بالرائحة الطيبة للصلاة والسهر أما الخطاة والمنافقون فإنهم يحملون ثمراً قبيحاً ومتهرياً ويكونون حاملين خزياً وعبرات ونحيب ودود لا يموت في نار لا تطفأ.

مهول يا إخوتي مجلس القضاء في ذلك اليوم لأن بغير شهود تظهر كافة الأفعال والأقوال والأفكار في حضور الماثلين هناك ربوات ربوات وألوف ألوف من الملائكة ورؤساء الملائكة والشاروبيم والسيرافيم والصديقين والقديسين والأنبياء والرسل والجماهير التي لا تحصى. فلماذا نتوانى يا إخوتي الأحباء فإن الأوان قد حان واليوم قد قرب حينما يكشف الحاكم المرهوب مكتوماتنا إلى النور. فلو عرفنا ما هو معد للخطاة لبكينا كل حين في النهار والليل متضرعين إلى الله أن ينجينا من الخزي الأبدي ومن الظلمة المدلهمة. فإن فم الخاطئ ينسد أمام الحكم والخليقة كلها ترتعد أمامه. فماذا نقول في يوم الدينونة إن توانينا وتكاسلنا في هذا الوقت يا إخوتي. اعلموا أن الله متمهل علينا ويريد أن يجذبنا كلنا إلى ملكوته وإنه أيضاً

سيطالبنا عن التواني والكسل في هذا الزمان اليسير فيوبخنا قائلاً: من أجلكم تجسدت ومن أجلكم مشيت على الأرض ظاهراً جهاراً ومن أجلكم جلدت ومن أجلكم بُصقَ علىَّ ومن أجلكم صُلبت مرفوعاً على خشبة ومن أجلكم سُقيت خلاً كل هذا من أجلكم أنتم الأرضيين لكيما أجعلكم قديسين سمائيين. وهبتكم الذي لي فوهبت لكم الفردوس ووهبت لكم ملكوتي وسميتكم كلكم إخوة لي وقربتكم إلى الآب السماوي وأرسلت إليكم الروح القدس فأي الأشياء أكثر من هذه التي صنعتها معكم لتخلصوا ولم أصنعها. فإني لم أشأ أن أنزع منكم الحرية لئلا يكون خلاصكم بضغط وإلزام. فقولوا لي يا إخوتي ماذا قدمتموه وماذا فعلتموه وماذا احتملتموه من أجل السيد المتألم من أجلكم. فها الآن قد وضع المكافأة والنياح والفرح للذين عن يمينه ووضع العذاب الخالد في الظلمة القصوى للذين عن يساره فيا ترى إلى أين نذهب. هلم يا إخوتي نسجد له باتفاق معاً ولنبكِ كلنا أمام الرب الذي خلقنا قائلين:

يا سيدنا تجسدت وتحملت هذه الآلام كلها من أجلنا ونحن خطاة وفي كل قوت نجحد إحساناتك وأنت بما أنك لم تزل إلهاً متحننا عطوفاً علينا آثرت بآلام صليبك أن تخلص مجاناً الخطاة الذين لم

يعرفوك وأعطيتهم نور المعرفة بك، فبماذا نكافئك نحن جنس الخطاة وبماذا نكافئ الإله الذي لا يدرك الصالح والمتحنن نحن الذين صرنا منافقين بعد هذه الإحسانات كلها. أنت هو السيد كل حين دائماً صالحاً ومتحنناً إنك مرهوب ومجيد ومنذ القديم محتمل ضعفاتنا وصعوبة أمرنا من قبل رأفاتك الجزيلة التي أظهرتها لنا نحن بني البشر.

اشبع عقل عبدك أيها السيد واملأه من حلاوة نعمتك البهية ومحبتك النفيسة. نعم أيها المحب للبشر دائماً تضاعف حلاوتك ومع ذلك عقلي يخالفك كل حين ويغدر بوصاياك وينتقل إلى مرارة الخطية غير مؤثر أن تكون له حلاوة سيده دائماً.

أيها السيد الرب عقلنا مريض ويشبه النبتة الصغيرة التي تحتاج إلى سقي الماء دائماً، هكذا ذهننا هو ضعيف مريض محتاج بلا تفويت إلى الاستنارات من نعمتك. قولك يارب فتح عيني المكفوف منذ مولده. عجب عظيم صار أيها السيد بسلوام أن الضرير أبصر بعينيه الجسدانية وأيضاً أضاء ذهنه. فلنشيد بلا خوف إنك إله الكل الطيب والطبيب فأضئ أعين قلوبنا لنحبك أيها السيد الرب وأعطنا أن نكمل بشوق ومحبة مشيئتك دائماً تاركين سلوام العالم عنا بعيداً. فها كأس دمك الرهيب ممتلئ نوراً وحياة فهبها لنا للعلم والاستنارة

ولنتقدم إليها بأمانة وشوق وقداسة. ليصير لنا تمحيصاً للخطايا لا للإدانة ولنقف بلا لوم أمام منبرك المرهوب فإن لك كل مجد وإكرام وعظمة وسجود الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

يا إخوتي لكي نهرب من الدينونة المخيفة والنار المعدة يجب أن نتقدم بتقوى ووقار وخشوع ونقاوة إلى الأسرار المقدسة لأن من يتقدم إلى الأسرار الإلهية بنفس غير منسحقة فإنه يشجب ذاته ويهلكها لأنه لم ينظفها ليقبل الملك في حجلته. اعلم أن النفس هي عروس مقدسة للختن الذي لا يموت والعُرس هو الأسرار الإلهية تؤكل بتقوى ووقار وتُشرب بجزع وخوف وخشوع في النفس المقدسة. فافحص ذاتك حافظاً حجلتك بلا دنس دائماً وكن مشتاقاً دائماً أن تقبل داخلك الختن السمائي المسيح الملك إلهنا لكي في يوم مجيئه يصنع فيك منزلاً مع أبيه فيكون مدحك كثيراً قدام رؤساء الملائكة والملائكة المقدسين وتدخل إلى الملكوت بفرح وسرور عظيم.

أيها الأخ الحبيب ماذا يلتمس الله منك سوى خلاصك فإن توانيت وتكاسلت ولم تؤثر أن تخلص ولم تسلك طريق الله الممهدة ولم تشأ أن تكمل وصاياه فإنك تقتل نفسك وتخرج ذاتك من الخدر السمائي. الإله القدوس والغير خاطئ وحده لم يشفق من أجلك على ابنه الوحيد

وأنت يا شقي لا تريد أن ترحم ذاتك اصح وفق من نومك يا مسكين وافتح فمك مستغيثاً به. اطرح عنك ثقل الخطايا، ارحم نفسك بالتضرع دائماً. ابكِ متوجعاً، اهرب من الاسترخاء، امقت الخبث، ارفض الرذيلة، حب الوداعة، اشتق إلى الغيرة والحمية وتأمل دائماً في تلاوة المزامير. احرص كل الحرص أيها الأخ طالما يوجد وقت. حب الله من كل نفسك كما أحبك هو. صر هيكلاً لله فيسكن فيك الإله العلي فإن النفس الحاوية الله في داخلها تلك هي هيكل الله المقدس والنقي وفيها يخدم الأسرار العالية الإلهية. وتتبادر دائماً إلى افتقادها مواكب الذين لا أجسام مادية لهم (أي الملائكة) فمنذ أن يسكن الرب في النفس فالملائكة السمائيون يبتهجون بها ويحرصون دائماً على أن يفتقدوا هذه النفس لأنها هي هيكل الله سيدهم وباريهم. مغبوط هو الإنسان الذي أحبك يا الله من كل قلبه ومقت العالم وكل الأشياء التي فيه ليقتنيك وحدك أيها الإله الكلي الطهارة الدرة النفيسة كنز الحياة. فأي أحد أحب الله هكذا حباً خالصاً صافياً فذاك ذهنه ليس هو على الأرض بل في العلا يسبح دائماً. ومن هناك يتجلى ومن هناك يستضيء ومن هناك يشبع دائماً من محبة الله لأن محبة الله هي ممتلئة سروراً وحلاوة ومغبوط هو من قد ذاقها. فمن

يستطيع أن يصف حلاوة محبة الله وصفاً كما تستحق. فمعلمنا بولس الرسول الذي ذاقها وشبع منها هو يهتف ويقول لا العلو الذي فوق ولا العمق الذي أسفل ولا هذه الحياة نفسها ولا الموت المنتظر ولا جماعة الملائكة الرؤساء والسلاطين ولا بادية أخرى فهذه كلها قاطبة لن تستطيع أن تفصل من محبة الله النفس التي ذاقت حلاوتها [1]. نار لا تموت هي محبة الله في النفس المشتاقة إليه وتجعل حواسها متلألئة الضياء وترفعها من الأرض فتبغض الأرضيات وتعاين الإله وحده الذي أحبته. الشهداء والقديسون الذين ذاقوها وتلذذوا بها يعلموننا ذلك. قيد لين ناعم هي محبة الله ولا يمكن السيف ذو الحدين أن يقطعها. فالولاة والأمراء قطعوا أعضاء القديسين أما محبتهم لله فما استطاعوا أن يقطعوها. يا لقيد محبة الله الناعم الممتلئ بالحقيقة عجباً الذي ما يمكن أن يُفَك. فقيد المحبة لا يقطعه سيف ولا يحرقه نار. لقد قطعوا الأعضاء والمحبة ما قطعوها. الأعضاء أحرقوها وقيود المحبة وقيود المحبة ما استطاعوا أن يحرقوها أو حتى يفكوها. أغرقوا أجساد القديسين ومحبتهم لله لم يستطيعوا أن يغرقوها. قيدوا أعضاء الأبرار وما استطاعوا أن يقيدوا بالجملة محبتهم. من يا ترى لا يتعجب من قيد

---

(١) رو ٨: ٣٨، ٣٩.

المحبة اللين الناعم الذي لا يستطيع أحد أن يقطعه ولا أيضاً يقدر أن يفكه. فأي أحد أحب الله حباً صافياً فقد اقتنى مثل هذه المحبة لأن هذه المحبة أعطاها المسيح لكنيسته بأن تتزين دائماً بها ... فبهذه المحبة تصير النفس عروساً للختن الذي لا يموت فيتجلى بَحسن بهائه فيها دائماً.

من هو كفء يا إخوتي بأن يمجد ويسبح الإله المخلص عن الهبة التي أخذناها كلنا بنعمته فالمجد والسجود لمسرته فإذ قد سمعتم يا إخوتي مشورة حقارتي النافعة فلنحرص دائماً ما ادم لنا زمان أن نسير بطهارة وبما هو أهل لله ليسكن فينا الروح القدس وتتكاثر محبة الله فينا مكملين مسرته كل حين ولا نقتني يا إخوتي سوى هذا الاهتمام. فكيف توجد أنفسنا في النور ثم نطفأها بأحد الأمور الأرضية والهموم العالمية والقنية والأموال!!! فلنزين أنفسنا بالصلوات والأصوام والأسهار والدموع حتى تجد النفس دالة يسيرة أمام منبر المسيح المرهوب العادل حيث تقف النفوس كلها بخوف حيث هناك يصير انفصال المختارين عن الخاطئين كمثل انفصال الخراف عن الجداء، فالخراف عن يمين الراعي تقف والجداء عن يساره تقف. فاستفيقوا يا أولادي لأن مجيء المسيح قريب ليعطي كل واحد نظير عمله فيسكن مختاريه في الضياء والسرور الخالد والخطاة الذين

أغاظوه بأعمالهم يقطنهم في الظلمة الأبدية. فمغبوط الإنسان الذي يجد في تلك الساعة دالة ويسمع ذلك الصوت المغبوط القائل تعالوا يا مباركي أبي ويا مختاري رثوا مجداً لا يقاس قدرة ولا تحد عظمته. ويقف كل واحد متفكراً في ذاته قائلاً يا ترى هل أنا هو ذاك فكيف وجدت هكذا أنا الحقير مستحقاً لهذا النور والمجد العظيم وحينئذ تتقدم الملائكة بسرور ويشرفون القديسين ويمجدونهم ويحدثون ويصفون لهم سيرتهم التي كانت بالنسك والحمية والسهر والصلاة والفقر الاختياري وهجر القنية بالتمام والصبر في العطش والثبات في الجوع والمواظبة في الصلاة والفرح بالعري من أجل المحبة التامة التي للمسيح هذا ما يقوله الملائكة للصديقين بفرح. فيجيب الصديقون قائلين: يوماً واحداً من أيامنا على الأرض لم نفعل شيئاً واحداً حسناً فيذكرهم الملائكة بالموضع وبالوقت فيتعجبون ويمجدون الله ناظرين أجسام القديسين ألمع من النور لأنهم باختيارهم وبصبرهم تألموا وحزنوا محتملين شدائد كثيرة حباً لفاديهم فبأتعابهم صنعوا لأنفسهم حلة لا دنس فيها لتكون لهم لباساً في يوم العرس.

حقاً يا إخوتي الآباء القديسون لأنهم وجدوا في الحقل كنزاً مخفياً باعوا كل ما يمتلكون على الأرض واحتملوا أتعاباً ليقتنوا ذلك

الكنز. فتعب النسك قليل هو يا إخوتي أما راحته فيما بعد عظيمة جداً، تعب النسك له زمان قصير أما راحته في النعيم الأبدي إلى أبد الدهر.

فأي أحد عرف ذاته أنه أخطأ إلى الله وتراخى بنيته أو أخطأ عمداً فما دام يجد زماناً فليبك ولينتحب ويحمِ (يغسل) جسمه بالدموع ويقتني لنفسه تخشعاً وخضوعاً فليجلب الفرح والسرور إلى قلبه. فهل يا ترى أحدكم له تجربة أو خبرة بالدموع؟! هل أضاء أحدكم بنعمة الدموع تلك التي من أجل الله؟ تيقنوا يا إخوتي أن ليس على الأرض ألذ حلاوة من الفرح والتخشع في تلك الساعة إذا صلى الإنسان فيها بوقار ودموع فإن يأتي الإله ويجلس في قلبه دائماً ويستضيء بالمسيح ويتقدس دائماً بالروح القدس.

فيا إخوتي عجباً عظيماً بأن يخاطب إنسان ترابي دائماً في صلاته الإله الذي لا يُرى. فمغبوط هو الرجل الذي له كل وقت تخشع من أجل الله، فالتخشع يا إخوتي هو شفاء النفس واستنارة لها. التخشع يا إخوتي يفيد لغفران الخطايا ويجذب إليه الروح القدس ويجعل الابن الوحيد يسكن فينا. بالخشوع والدموع حنة أخذت من الله صموئيل النبي سرور وفرح لقلبها. المرأة الخاطئة في منزل سمعان الفريسي أخذت من السيد المسيح غفراناً لخطاياها حينما بكت وبلت قدميه

المقدستين بالدموع. عظيمة هي قوة الدموع يا إخوتي وتقتدر كثيراً الدموع التي من أجل الله فهي تَجْلِي النفس من الخطايا وتنظفها من الآثام. العبرات التي من أجل الله تمنح دالة لدى الإله القدوس. والأفكار الموسخة لا تقتدر أن تقترب من النفس الحاوية التخشع. فماذا ترى أن يكون أعلى سمواً من هذه الحلاوة؟ وأي شيء أعظم وأكثر تطويباً من النفس التي تحوي (أي يسكن بداخلها) الإله الذي تصلي إليه وتبتهل له. أيها الإخوة إذا رقت واشتاقت النفس إلى الله فهي تبصره دائماً في صلاتها وتدرس فيه الليل والنهار. فالتخشع كنز لا يسلب. والنفس الحاوية التخشع تفرح فرحاً لا ينطق به. وأقول لكم يا إخوتي ليس الخشوع الذي هو أن تصنعه في يوم من الأيام وإنما أعني الخشوع الصائر دائماً في باطن النفس ليلاً ونهاراً. فالتخشع في النفس يا إخوتي هو كعين صافية تسقي الأشجار المثمرة وقلت أشجاراً مثمرة لأقصد بها الفضائل والأعمال الصالحة التي تستقي دائماً بالدموع والزفرات فتثمر ثمراً رائقة نضارته في نفسك ونافعاً للأبد. أيها الأخ الحبيب اسق غروسك بلا انقطاع مبتهلاً بدموع نقية من أجل الله حتى إذا سقيتها تنمو وتثمر يوماً فيوماً.

مجيء ربنا يسوع المسيح الثاني وعمل الفضيلة

المقال الحادي والعشرون – للقديس مار أفرام السرياني [1]

يا بني النور تقدموا وهلم اسمعوا صوت مخلصنا ذاك الصوت المغبوط المبارك، الهاتف إليكم تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملك المعد لكم في السماوات. فاحذروا يا إخوتي أن يعدم أحدكم هذا الميراث السعيد فإنه ها هو على الأبواب. هو نور من نور نزل إلينا فأنارنا وقربنا إلى النور وأصعدنا إليه. نزل إلينا وصار كإنسان – من أجلنا – مثلنا ليجعلنا ننظره ونلمسه ثم بعد أن تألم وقبر وقام من أجلنا صعد إلى الآب ليعد لنا مكاناً سمائياً وسيأتي بمجد أبيه المبارك ليدين الأحياء والأموات وصار لنا طريقاً للحياة الممتلئة نوراً ومجداً فتعالوا يا أحبائي لنسلك في الطريق التي أرانا إياها الرب لنصل بسرور إلى مملكته السمائية.

هيا لنأخذ معنا زاداً وزيتاً في أوعيتنا فالطريق ليس قصيراً فلنشد أحقاءنا بالبر والتقوى والرحمة ومثل أناس وعبيد ساهرين منتظرين سيدهم. فلنوقد مصابيحنا ونستفيق من غفلتنا ونستقبل ربنا من السماوات مقبلاً فلا ننام ولا ننعس فيما بعد لئلا تنطفئ مصابيحنا.

---

(١) مخطوط رقم ٢٠٠ ميامر وعظية بمكتبة دير السريان العامر.

الليل قد ولىَّ والنهار قد أتى فيا بني النور بادروا إلى النور، اخرجوا بفرح إلى استقبال ربكم حاملين فضائلكم فلا تضجعوا ولا تعجزوا ولا تناموا ولا تنعسوا ولا ترقدوا ولا ينظر أحدكم إلى العالميات ويلتفت وراءه بل ناظرين إلى ذاك الجمال السمائي، ناظرين إلى فوق إلى ذلك الميراث الأبدي متأملين الفرح والسرور والنعم التي وهبها الله لكم. فبماذا نكافئ الله يا أحبائي هلم فلنطرح عنا كل اعتناء واهتمام وهموم هذا الدهر ولنخدمه وحده بحرص عظيم ونشاط جزيل فها يومه بالحقيقة قد قرب مجيئه وقد حان ميعاده فلنتيقظ منتظرين العريس السمائي فها قد بغتة تصير الصرخة: ها العريس قد أقبل اخرجوا إلى استقباله يا معشر الذين أحببتموه وأعددتم ذاتكم لمعاينته في مجده لأن كافة الذين اشتاقوا إليه يفرحهم ويسر بهم في حجلته المنيرة والبهية التي لا توصف وأيضاً أبدية.

- احذروا يا إخوتي إذا صار هذا اليوم أن يوجد أحدكم ماسكاً مصباحه مظلماً وليس له زيت أو لابساً أطماراً بالية قذرة فيدان ويحكم عليه بالظلمة البرانية حيث البكاء وتقعقع الأسنان وذلك العقاب أبدي لا يزول. فلننتبه ونستعد لأننا لا نعلم متى يجيء ربنا لأنه كالسارق في الليل وكالفخ هكذا يأتي ذلك اليوم ومثل إتيان البرق

هكذا يصير حضور الرب فإن البوق يضرب فتتزعزع الأرض من أساساتها وترتعد السماوات مع قوتها فإنني أظن أن كل نسمة ترتعد في تلك الساعة لكن نعمة الله تقوي وتفرح قلوب الصديقين ويخطفون في السحب لاستقباله أما المضجعون والعاجزون فيلبثون على الأرض مرتعدين فلنخفف ذواتنا يا إخوتي من ثقل الأمور الأرضية لنرتقي بسهولة إلى السماء. ماذا ينفعنا العالم الذي قيدنا ذواتنات بهمومه؟ ماذا نربح من تزين الثياب سوى نار لا تطفأ أو ماذا يسبب لنا الأطياب وألوان الأغذية المتنوعة سوى عذاباً مؤبداً. اعلموا يا إخوتي جيداً إن لم نجاهد في هذا الزمان القصير فسنندم إلى أبد الدهر. ألا تعرفون أن الباب ضيق ومحب القنية لا يستطيع أن يدخل فيه ومحب اللهو والترف أيضاً لا يستطيع الدخول أما الذين ضيقوا على ذواتهم بالتعب والنسك والعمل الصالح هم يستطيعون الدخول ومعاينة العريس السمائي ومجده. ها يا أحبائي الباب ضيق يناديا قائلاً: أسرعوا تعالوا ادخلوا مني وليتكاثر عددكم الداخل مني لتدخلون إلى خدر ربكم وتتعاظم صفوفكم مع الملائكة المقدسين في الضياء وبحرصكم هذا يا أحبائي تفرح وتسر الملائكة ورؤساء الملائكة أما تكاسلكم وتوانيكم يفرح قلب العدو بكم. فاحرصوا يا أولادي المشتاقين إلى

الملكوت الأبدي كل الحرص لكي أسر وأفرح بكم وأنتم بي إلى أبد الدهر.

لك أجثو ساجداً أيها الرب يسوع المسيح ابن الله الحي أعطني ولكافة الذين يحبونك أن نعاينك بمجد في ملكك ونرث ملكوتك مع كل الذين أحبوك وتاقت نفوسهم إليك أيها السيد الرب إلهي.

يا أحبائي إن تكاسلنا وتوانينا في هذا الزمن اليسير فما يكون لنا دالة في ذلك اليوم المخيف فإننا لن نجد حجة عن خطايانا فمنذ تجسد ربنا يسوع المسيح وحلوله في وسطنا انتزعت كل حجة لأنه جاء واهباً لنا الحياة الأبدية. فكنا أعداء أتى وصالحنا. كنا أرضيين جسدانيين فصيرنا سمائيين روحانيين. كنا مائتين فدعانا لنحيا به. كنا بني الظلمة فصيرنا بني النور. كنا عبيداً للخطية فحررنا لنكون في حرية مجد أبناء الله. نعم لقد كنا مساكين خطاة وعراة فأغنانا وخلصنا من خطايانا وكسانا وسترنا ببره وصيرنا ورثة معه في ملكوت السماوات. ها هذه النعم كلها قد وهبها لنا ربنا فبماذا نكافئه يا أحبائي؟ هلم فلنطرح عنا كل هموم وكل اهتمام هذا العالم الباطل ونخدم الرب بحرص عظيم ونشاط وفير ولنرضيه وحده في كل حين. ها يومه قد حان بالحقيقة ومجيئه قد قرب فهلم نسجد

له ونبكي أمامه ليعطينا استنارة نفس لنفطن ونعرف حيل عدونا ومعاندنا وماقت الخير لنا ، فإنه يجعل قدامنا مزالق ومعاثر وأضرار كمحبة الاقتناء والتمتع بهذا الدهر واللذة البشرية الخاطئة والأمل في طول العمر في زمان هذه الحياة الباطلة والسعي وراء الكرامة والغنى والراحة الجسدية وترك النسك والعجز عن الصلوات والتسبيح والترتيل لخالقنا فلنعلم واثقين أن أيامنا قد قصرت والوقت قد قرب ورب المجد سيجيء بحسن بهائه وبمجد عظمته وبقوات مملكته المنيرين ليجازي كل واحد نظير أعماله فلنخف يا إخوتي أن يتم فينا قول القائل: سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في ملكوت السماوات أما أنتم فتلقون خارجاً في الظلمة وصرير الأسنان.

إليك أتضرع أيها المسيح نور الحق ابن الله المبارك الذي لا يدرك ولا يفحص. يا فخر وسرور الذين يحبونك أيها المسيح حياتي خلصني أنا الخاطئ متى جئت في ملكوتك. الفاعل الأمين ينتظر أن يأخذ أجرته أما أنا فالويل لي لأن لساني يتعب في تمجيدك لكن كما تعبت من أجلي فلا تجازيني يارب نظير أعمالي بل خلصني بنعمتك وتراءف علىَّ برأفتك وتحننك فإنك أنت هو المبارك والممجد إلى أبد الدهور كلها آمين آمين آمين.

يوم الدينونة وحفظ الحواس

المقال الخامس والثلاثون – للقديس مار أفرام السرياني [1]

أيها الإخوة تعالوا كلكم واسمعوني أنا الحقير أفرام فلنُجَلْس فكرنا قاضياً ليتأمل وليحكم على ما هو داخل قلبنا، إن كنا سالكين كما تقول الكتب التي هي أنفاس الله أم هل نجحد الروح القدس الذي به ختمنا؟ فإن شاهد أحدنا في نفسه شيئاً من النقص فليحرص أن يزيله بتواضع النعمة التي أخذناها من محب البشر وإن كنا ملومين بالخطايا فلماذا ننام أيها الإخوة الأحباء للمسيح لأن هوذا يا إخوتي قد يدهمنا اليوم المرهوب الذي فيه يظلم نور الشمس وتتساقط النجوم والذي فيه تطوى السماء كدرج والذي فيه يُضرَب البوق العظيم ويعطي صوتاً عظيماً مُرهباً جداً به يوقظ الموتى الذين منذ الدهور ويأتي السيد المسيح في السحاب مع ملائكته المقدسين ليدين الأحياء والأموات ويجازي كل واحد حسب أعماله. بالحقيقة إنه مرهوب جداً هو مجيء السيد المسيح المجيد لأنه عجب جداً أن الأرض تحضر جسم الإنسان من أينما كان حتى لو كان أكلته الوحوش أو الطيور والكل – بمشيئة الله – ينتقلون إلى حياة دائمة لا تنتهي وكل

---

(١) مخطوط رقم ٢٠٠ ميامر وعظية بمكتبة دير السريان العامر.

واحد يأخذ جسماً تظهر فيه أعماله فجسم الصديقين يلمع أكثر من أشعة الشمس بسبعة أضعاف وأجسام الخطاة توجد مظلمة وممتلئة نتانة. فجسم الإنسان يُعرف بعمله فكل واحد منا يحمل أعماله في جسمه وتظهر أعمالنا واضحة جهراً. فلنجاهد يا إخوتي الأحباء أن نفلت من التعيير والخزي المخجل جداً الذي يلتقي كافة الخطاة وأن نصير مشاركين تلك الخيرات التي أعدها الله للذين يحبونه، الخيرات التي لم تبصرها عين ولم تسمع بها أذن ولم تخطر بقلب إنسان التي تشتهي الملائكة أن تطلع عليها.

وحينئذ تحضر الملائكة إلى كل صقع على الأرض ويختطفون كافة القديسين بكرامة عظيمة إلى السحاب إلى استقبال السيد المسيح. فلنحرص يا إخوتي أن نُوجّد مستحقين لذلك الاختطاف ونقف أمام هذا الموقف المرعب والمرهب بلا عيب ولا زلل لأنه مغبوط هو ذلك الإنسان الذي يتلاقى مع ملك المجد في السحاب ومثلث الشقوة هو ذلك الإنسان الذي يعدم من ذلك الاختطاف لأن الذين لا يُختَطفون في السحب المجيدة فواضح أنهم خطاة منافقون فلا نتوانى أيها الإخوة المحبون للسيد المسيح فها قد فتح الميدان للكل. فمادام لنا وقت فلنحرص على أن نحفظ جميع حواسنا طاهرة فلنغلب آلام الجسم

والنفس التي تهلكنا ولنغلب اللذة الجسدية مثل يوسف العفيف لا بالجسم فقط بل وبالفكر أيضاً لأن من ينظر إلى امرأة ويشتهيها فقد زنى بها بقلبه فربما أفعال الجسد تقاومها أمور أخرى فمثلاً الخوف الإنساني من الفضيحة قد يقطعها ويمنعها من حدوثها أما خطايا الفكر فتُفعل بلا خشية ويعملها صاحبها بغير تعب.

فأقول هذا يا أحبائي لأنه ربما يكون أحدكم ساقطاً بفكره وبنظره وحواسه فمثل هذا يشبه الغزالة التي قد نُشِبت وربما أفلتت من أيدي القانصين لكنها أخذت النُشابة معها في جسمها وذهبت. فإن انغلب أحدكم بفكره فمثل هذا لا يكون عفيفاً من أجل الله وإنما هو عفيف من أجل إرضاء الناس أو عفيف من أجل الخجل والفضيحة وقد أفسد جسمه مع نفسه بفكره الغير عفيف، فمثل هذا لا يكلل مثل عفيف فإن لم يتب ويحفظ فكره وحواسه نقياً فسيعذب. فإن حدث لأحد وانغلب وقتاً ما بفكره فيداوي جرحه بالتوبة.

فلنهرب يا إخوتي من الشهوات الرديئة ولنحفظ جميع حواسنا لأنها جردت أمنا حواء من شرف مجدها حينما اشتهت أن تذوق من ثمرة الشجرة المنهى عنها. وهذه أيضاً جلبت على العالم الطوفان وأهلكته التي هي عدم حفظ الحواس فإن أبناء الله أبصروا بنات

الناس فنزلوا إليهن وتدنسوا تدنيساً قبيحاً. وعدم حفظ الحواس جعلت المصرية أن تُهيم بيوسف العفيف ولكن ذاك الشاب البار المتقي الله غلب تلك الأفعى المحبوسة التي كانت معه. وهذه أيضاً جعلت شمشون الذي لا يُقاوم أسيراً، فالذي قتل ألوفاً بفك حمار حينما اشتهى أن يساكن الأفعى حلقت في الحين شعره وأعمت عينيه وصار أضحوكة للكل وكذلك أيضاً داود قتل أوريا من أجل الشهوة ويهوذا الإسخريوطي سلم سيده المسيح من أجل شهواته وعدم حفظ حواسه.

فيا إخوتي الأحباء مغبوط هو كل من قد غلب شهواته وحفظ جميع حواسه السمع والنظر واللمس والشم والتذوق طاهرة نقية عفيفة فبذلك يلبس إكليل العفة أمام السيد المسيح الذي يليق به كل مجد وإكرام مع أبيه الصالح والروح القدس إلى أبد الدهور كلها آمين.

يوم الدينونة وعدم القنية وصنع العدل

المقال التاسع والعشرون – للقديس مار أفرام السرياني [1]

يا إخوتي الأحباء كافة البرية مِلك الباري ونحن ضيوف وسكان فيها. فإن كان أحد تحت يديه ثروة ونِعَم فليس هو صاحب هذه الأمتعة بل هو قهرمان [2] لأنه ليس هو المالك الحقيقي بل من آخر أخذ تلك الثروة والأمتعة ثم بعده تُنقل إلى إنسان آخر حسب أمر الباري. فيجب أن نقدر ونعترف للمعطي بهذه النعم والإحسان والثروة وكل الأمتعة التي نمتلكها فهذه الآراء عندما عرفها الوكلاء الحكماء لم يهملوا اهتمامهم بعمل العدل والحق مريدين أن ينالوا التطويب القائل مغبوط هو ذلك العبد الذي إذا جاء سيده فيجده عاملاً بما يليق وأميناً فحقاً سيده سيقيمه على كل مقتنياته [3] لأنه دبر أموره بإنصاف ولذلك هذا العبد لا يتزعزع إلى الأبد كما قيل مغبوط الإنسان وصالح الذي يتراءف ويقرض ويدبر أموره بالإنصاف فإنه إلى الأبد لا يتزعزع. الصديق يكون ذكره دائماً ولن يخشى من سماع خبر السوء لأنه قد جعل قلبه يتوكل على الرب فقد ثبت قلبه فلا يتزعزع إلى أن يبصر

---

(١) مخطوط رقم ٢٠٠ ميامر وعظية بمكتبة دير السريان العامر.

(٢) قهرمان لقب كان يُلقب به أمين الملك ووكيله الخاص بتدبير أمواله.

(٣) أنظر لوقا ١٢: ٤٤.

بأعدائه. فرق أعطى الفقراء فبره يبقى إلى الدهر. يعلو شأنه في الشرف. يبصر الخاطئ فيغتاظ ويصر بأسنانه وشهوة الخاطئ ستباد وتذوب [1] لقد قيل هنا الصديق ذكره دائماً ولا يخشى من سماع السوء فما هو خبر السوء؟ فخبر السوء هو ذلك القول القائل ابعدوا هذا المنافق لئلا يعاين مجد الرب اربطوا ذلك العبد الشرير في يديه ورجليه وألقوه في الظلمة حيث النار الأبدية المعدة لإبليس ورسله. أما الصديق فإنه يسمع الصوت القائل حسناً أيها العبد الصالح والأمين إذ كنت أميناً في القليل فسأقيمك على الكثير ادخل إلى فرح ربك. لذلك الرب الرازق كافة الخيرات يمنعنا أن نكون شغوفين بالأشياء العالمية ولا متلخفين ولا متألمين لأجلها لذلك قال لا يمكن لأحد أن يعبد ربين لا يمكن أن نعبد الله والمال ولا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث السوس والصدأ يبيدها وحيث اللصوص ينقبون ويسرقون لكن اكنزوا لكم كنزاً في السماوات حيث لا يبيده السوس ولا الصدأ وحيث لا يوجد لصوص ينقبون ويسرقون فحيثما يكون كنزكم هناك يكون قلبكم أيضاً. وأيضاً بيعوا الأشياء التي تملكونها وأعطوها صدقة واصنعوا لكم أكياساً غير بالية وكنزاً لا يسرق في

---

(١) راجع مز ١١٢: ٥ – ١٠.

السماوات [1]. وأيضاً أنا أقول لكم اصنعوا لكم أصدقاء من مال الظلم حتى إذا أعوزتم يقبلونكم في مساكنهم الأبدية [2]. فالواثقين بقوتهم والمفتخرين بوفور ثروتهم يموتون كسائر البشر ويسقطون كأوراق الشجر أما الصانعون وصايا الرب فإنهم يرثون الأرض لأن فيهم كلمة الرب نور وملح وقوة ... فلنصنع نحن الآن ثمار العدل والبر فحسناً قبولها عند الرب وبها تكون لنا دالة عنده لأن الرب يُسر بالعاملين بالحق والبر والعدل فلا يتشامخن أحد بمعقولاته الباطلة أو بقوته أو بثروته لأن هذه كلها تجف كالحشيش الأخضر فمن يريد أن يفتخر فليفتخر بالرب. فمن يكون بين الناس معظماً أو مكرماً أكثر من عليه التاج الملوكي وهذا لن يدوم على رأس الإنسان. اعلموا يا إخوتي كافة الموجودات بيننا أعني الذهب والفضة والملابس الفاخرة والعبيد والمراعي والغنم وقطعان البقر والجمال وغيرها إن لم تشرق الشمس تحسب كلا شيء فإن لم يعط الرب حياة على الأرض فالحكيم يصير سفيهاً والقوي ضعيفاً والغني لا شيء له فإن كافة البرايا للباري فلنخضع ونتضع تحت يد الرب العزيزة ليرفعنا في يوم

---

(١) راجع مت ٦، لو ١٢.

(٢) لو ١٦: ٩.

مجيئه فلنبغض السبح الباطل ولنهرب من الكبرياء ولنحب التواضع ولنصير ودعاء لكي يعلمنا الرب طرقه. تأملوا كم هم الذين نشأوا منذ إنشاء العالم وكلهم ماتوا ودفنوا في الأرض حيث لا يوجد فرق بين العظام الملوكية يفضل به على عظام الأسير ولا فرق بين المقتني مركبة ذهبية وبين الذي كان يسير ماشياً على قدميه ولا يوجد فرق بين الغني صاحب العيش الرغد وبين الفقير المسكين المعوز فالكل نيام على التراب إلى أن يبوق البوق المقدس فينهض كل الراقدين منذ الدهر ليحتضن كل واحد منهم الأعمال التي عملها على الأرض إن كانت صالحة أم إن كانت طالحة. فعجب عظيم يا إخوتي أن نشاهد بغتة القبور تتفتح بصوت البوق وكل الموتى يقومون منذ آدم إلى تلك الساعة في لحظة أسرع من طرفة العين يقومون كلهم معاً ويرسل ملائكته يجمعون الصديقين من الأربعة رياح من آفاق السماء إلى آفاقها فلا نكذب ذلك يا إخوتي المحبوبون للمسيح لأن كافة الأشياء ممكنة لله ولن يصعب عليه أمر أو يستحيل عليه شيء فاسمع حزقيال النبي يقول:

" كَانَتْ عَلَيَّ يَدُ الرَّبِّ فَأَخْرَجَنِي بِرُوحِ الرَّبِّ وَأَنْزَلَنِي فِي وَسَطِ الْبُقْعَةِ، وَهِيَ مَلآنَةٌ عِظَام وَأَمَرَّنِي عَلَيْهَا مِنْ حَوْلِهَا وَإِذَا

هِيَ كَثِيرَةٌ جِدّاً عَلَى وَجْهِ الْبُقْعَةِ، وَإِذَا هِيَ يَابِسَةٌ جِدّاً فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ آدَمَ، أَتَحْيَا هَذِهِ الْعِظَامُ؟ فَقُلْتُ: يَا سَيِّدُ الرَّبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ فَقَالَ لِي: تَنَبَّأْ عَلَى هَذِهِ الْعِظَامِ وَقُلْ لَهَا: أَيَّتُهَا الْعِظَامُ الْيَابِسَةُ، اسْمَعِي كَلِمَةَ الرَّبِّ هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ لِهَذِهِ الْعِظَامِ: هَئَنَذَا أُدْخِلُ فِيكُمْ رُوحاً فَتَحْيُونَ وَأَضَعُ عَلَيْكُمْ عَصَباً وَأَكْسِيكُمْ لَحْماً وَأَبْسُطُ عَلَيْكُمْ جِلْداً وَأَجْعَلُ فِيكُمْ رُوحاً فَتَحْيُونَ وَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ فَتَنَبَّأْتُ كَمَا أُمِرتُ. وَبَيْنَمَا أَنَا أَتَنَبَّأُ كَانَ صَوْتٌ وَإِذَا رَعْشٌ فَتَقَارَبَتِ الْعِظَامُ كُلُّ عَظْمٍ إِلَى عَظْمِهِ. ونَظَرْتُ وَإِذَا بِالْعَصَبِ وَاللَّحْمِ كَسَاهَا، وبُسِطَ الْجِلْدُ عَلَيْهَا مِنْ فَوْقُ، وَلَيْسَ فِيهَا رُوحٌ فَقَالَ لِي: تَنَبَّأْ لِلرُّوحِ، تَنَبَّأْ يَا ابْنَ آدَمَ، وَقُلْ لِلرُّوحِ: هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَلُمَّ يَا رُوحُ مِنَ الرِّيَاحِ الأَرْبَعِ وَهُبَّ عَلَى هَؤُلاَءِ الْقَتْلَى لِيَحْيُوا. فَتَنَبَّأْتُ كَمَا أَمَرَنِي، فَدَخَلَ فِيهِمِ الرُّوحُ، فَحَيُوا وَقَامُوا عَلَى أَقدَامِهِمْ جَيْشٌ عَظِيمٌ جِدّاً جِدّاً. ثُمَّ قَالَ لِي: يَا ابْنَ آدَمَ، هَذِهِ العِظَامُ هِيَ كُلُّ بَيتِ إِسْرَائِيلَ. هَا هُمْ يَقُولُونَ: يَبِسَتْ عِظَامُنَا وَهَلَكَ رَجَاؤُنَا. قَدِ انْقَطَعْنَا ذَلِكَ تَنَبَّأْ وَقُلْ لَهُمْ: هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَئَنَذَا أَفتَحُ قُبُورَكُمْ وأُصْعِدُكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ يَا شَعْبِي وَآتِي بِكُمْ إِلَى

أَرْضِ إِسْرَائِيلَ فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ عِنْدَ فَتْحِي قُبُورَكُمْ وَإِصْعَادِي إِيَّاكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ يَا شَعْبِي وَأَجْعَلُ رُوحِي فِيكُمْ فَتَحْيُونَ، وَأَجْعَلُكُمْ فِي أَرْضِكُمْ، فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ تَكَلَّمْتُ وَأَفْعَلُ، يَقُولُ الرَّبُّ " (١).

وأيضاً عندما أتى إلينا ربنا يسوع المسيح قال بفمه الإلهي: " إِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَسْمَعُ جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ صَوْتَهُ فَيَخْرُجُ الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ " (٢)

فاعلموا يا إخوتي الأحباء كل شيء مستطاع لدى الله ولا يستحيل عليه أمر، فكل الخليقة في يده كما قال إشعياء النبي: مَنْ كَالَ بِكَفِّهِ الْمِيَاهَ وَقَاسَ السَّمَاوَاتِ بِالشِّبْرِ وَكَالَ بِالْكَيْلِ تُرَابَ الأَرْضِ وَوَزَنَ الْجِبَالَ بِالْقَبَّانِ وَالآكَامَ بِالْمِيزَانِ؟ ... هُوَذَا الأُمَمُ كَنُقْطَةٍ مِنْ دَلْوٍ وَكَغُبَارِ الْمِيزَانِ تُحْسَبُ. هُوَذَا الْجَزَائِرُ يَرْفَعُهَا كَدُقَّةٍ! وَلُبْنَانُ لَيْسَ كَافِياً لِلإِيقَادِ وَحَيَوَانُهُ لَيْسَ كَافِياً لِمُحْرَقَةٍ كُلُّ الأُمَمِ كَلاَ شَيْءٍ قُدَّامَهُ. مِنَ الْعَدَمِ وَالْبَاطِلِ تُحْسَبُ

---

(١) حز ٣٧: ١ – ١٤.

(٢) يو ٥: ٢٨، ٢٩.

عُنْدَهُ [1] وحبقوق النبي يقول: " يَا رَبُّ قَدْ سَمِعْتُ خَبَرَكَ فَجَزِعْتُ .. جَلاَلُهُ غَطَّى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضُ امْتَلأَتْ مِنْ تَسْبِيحِهِ وَقَفَ وَقَاسَ الأَرْضَ. نَظَرَ فَرَجَفَ الأُمَمُ وَدُكَّتِ الْجِبَالُ الدَّهْرِيَّةُ وَخَسَفَتْ آكَامُ الْقِدَمِ. مَسَالِكُ الأَزَلِ لَهُ " [2]. ومعلمنا بولس الرسول يقول: فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ عِنْدَ الْبُوقِ الأَخِيرِ. فَإِنَّهُ سَيُبَوَّقُ فَيُقَامُ الأَمْوَاتُ عَدِيمِي فَسَادٍ وَنَحْنُ نَتَغَيَّر لأَنَّ هَذَا الْفَاسِدَ لاَ بُدَّ أَنْ يَلْبَسَ عَدَمَ فَسَادٍ وَهَذَا الْمَائِتَ يَلْبَسُ عَدَمَ مَوْتٍ وَمَتَى لَبِسَ هَذَا الْفَاسِدُ عَدَمَ فَسَادٍ وَلَبِسَ هَذَا الْمَائِتُ عَدَمَ مَوْتٍ فَحِينَئِذٍ تَصِيرُ الْكَلِمَةُ الْمَكْتُوبَةُ: ابْتُلِعَ الْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكِ يَا هَاوِيَةُ؟ " [3].

فمن أجل هذا يا إخوتي الأحباء لا يبكي المسكين ولا يستعظم الغني ولا يحزن الضعيف ولا يتشامخ القوي ولا يغتم العبد ولا يفتخر السيد فإن كل البشر من التراب وفي التراب تسكن أجسادهم إلى أن يجيء الرب الذي يحيي أجسامنا المائتة. ليفتخر الصديقون وليسروا بالرب لأن مغبوطين الذين يوجدون أهلاً لذلك الصوت المبارك تعالوا يا

---

(١) إش ٤٠: ١٢ – ١٧.

(٢) حب ٣: ٢ – ٦.

(٣) ١كو ١٥: ٥٢ – ٥٥.

مباركي أبي رثوا الملك المعد لكم منذ إنشاء العالم. فاصبروا الآن يا صانعي العدل محتملين الأتعاب من أجل حق الله فإن تعب هذه الحياة الوقتية تمنحكم دالة جزيلة في اليوم القادم وضيقة هذا العالم الحاضر تصير لكم نياحاً وتعزية أيضاً في ذلك اليوم. والبكاء الآن يسبب لنا جلالاً وفخراً لأنه طوب الصابرين وأعطى الطوبى للباكيين. فالذين يخدمون الرب يُسرون أما الكسالى سيخزون، الذين يخدمون الرب يبتهجون بالسرور أما أولئك يصيحون من أجل أوجاع قلوبهم ويولولون من العذاب. فالذين يخدمون الرب سيدعوهم باسم جديد وينسون حزنهم الأول ولا يخطر ألم على قلبهم لأنه سيكون هناك سماء جديدة وأرض جديدة فلا يتذكرون سوء الفهم ولا يخطر ببالهم بل يجدون في قلوبهم السرور والابتهاج أما أنا الخاطئ عندما تخطر بذهني الخيرات المعدة للصديقين والغضب المهيأ للخطاة فأجد نفسي متهاوناً بالأمرين كلاهما ولا أعرف أن أعمل حسناً سوى أن أرفع صوتي قائلاً:

أيها الرب الصالح والفادي اللهم اغفر لي أنا الخاطئ. فإن العشار يفوق حقارتي لأنه كان يصلي واقفاً على قدميه مطرقاً نظره إلى أسفل ويقرع صدره متضرعاً فأنا بما أني مفرط في الهفوات انطرح

على الأرض على وجهي وأضرب بجبهتي الأرض هاتفاً إليك أيها المتحنن والطاهر والمحب اللهم اغفر لي أنا الخاطئ والغير مستحق ولا تكن صلاتي هذه للدينونة لأني أتجرأ على أن أنطق بلساني النجس وشفتاي الدنستين اسمك القدوس المبارك الفائق التسبيح إلى الدهور بل فلتصر لي الاستغاثة باسمك يارب الجنود لاستنارة وقداسة نفسي وروحي. فإذ كانت حبة البخور تملأ البيت نسيماً طيباً فكم بالأحرى ذكر اسمك يارب الذي هو أحلى من الشهد والعسل أن يملأ النفوس قداسة واستنارة نفوس الذين بأمانة يتوقون إليك أيها المخلص. أعطني شوقاً إلى خلاصك يارب مثل الأرض الظمآنة التي تنتظر الأمطار لأصنع قبل الموت أثماراً تليق بالتوبة لئلا أخزى في يوم المجازاة. ارحمنا يار بكلنا بما أنك صالح. نشكرك على صلاحك يارب لأننا غير مستحقين فأهلنا أن نخدم اسمك القدوس وأن نبسط أيدينا كلنا إليك يا أبا الكل نجنا من كل فعل شيطاني وأعط اسمك القدوس مجداً يارب. يارب امنحنا أن نوجد كأرض جديدة وصالحة لكيما إذا قبلنا بذارك نثمر مائة وستين وثلاثين. أعطنا يارب أن نتاجر ونربح بالوزنات التي أعطيتنا إياها لكيما إذ ربحنا تضاعف لنا وزناتك ونقرب لك ثمر العدل فنؤهل لنرث العشر مدن. امنحنا يارب أن نسهر ونستيقظ

لاستقبالك ونحن ممنطقين أحقائنا وأذهاننا ماسكين مصابيح أنفسنا العقلية غير منطفئة منظرين إياك أنت إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح. فأهلنا يا ربنا للاختطاف مع الصديقين الذين يستقبلونك يا سيد الكل في السحاب لئلا نذوق تلك الدينونة المرة الفاقدة العزاء. بدد يارب قبل وفاتنا وسق خطايانا الشاق حمله لئلا يصير لنا معوقاً في ساعة الطيران نحوك ويسحبنا من مجمع الصديقين إلى النار التي لا تطفأ. أعطنا أن نسلك بالبر والعدل ولا نرتبط بقنية الأرض ليكون كل واحد منا خفيف غير مرتبط بالأرضيات ناظراً إلى السمائيات. نعمتك يارب فلتصر لنا قوة ولتأخذنا في السحب مع القديسين والمختارين إلى لقائك يا ملك الكل أعطنا أن نسجد أمام عرش مجدك ونعاين مجدك الذي لا يوصف ونهتف قائلين المجد للذي ألبس الأذلاء البالين مجداً. المجد لمن أعطى المائتين عدم الموت المجد لمن نجانا من فم الوحش والعدو المفسد المجد لمن جعلنا لملكه السمائي الذي به كافة النعيم والخيرات، الذي به النور الذي لا يوصف والذي فيه نهاراً ولا يتبعه ليل حيث الفرح والسرور المكان الذي لا يشوبه حزن ولا ألم حقاً يهرب من ذلك المكان الوجع والغمر والتنهد حيث نكون معك

أيها الرب ربنا في كل حين فإن لك كل مجد وإكرام وعزة وسجود الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

هذه هي أصوات الصديقين والقديسين والنساك والمختارين في مجيء ربنا يسوع المسيح. إذاً يا أحبائي لنرضي قلب الرب الإله الرحوم بالتوبة ولنصنع الحق والعدل والرحمة ونترك القنية ومحبة الغنى ولنستوطن مع الصديقين القديسين عند الرب ليفرح قلوبنا ولا ينزع أحد سرورنا مسبحين ومباركين وساجدين للثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس الطاهر المتساوي في الجوهر. نسجد له ونمجده من الآن وإلى أبد الدهور آمين.

ما هي علامة مجيئك؟

للقديس مار أفرام السرياني [1]

سأل التلاميذ بخوف قائلين أعلمنا يارب متى يكون مجيئك؟ ومتى تظهر علامة هذا المجيء؟. وبأي شبه وبأي صورة ستأتي؟ وهل تقدر عين إنسان تنظر إليك يا ربنا؟ أعلمنا يارب من أي البلاد تأتي وإلى أي البلاد تذهب والسماء والأرض تنحل وتذهب؟ وفي أي موضع تكون الملائكة يارب التي تأتي معك؟ وأي شكل شكلهم؟ وأي منظر يشبه مناظرهم؟ وهل يسكتون يارب عن التسبحة أم يسبحون بلا سكوت؟ أعلمنا يارب كيف تكون الشدة والفزع للخاطئين؟ وكيف يُحمل الصالحون على أجنحة الملائكة ولا يحترقون؟ وكيف الملائكة يعرفون إرادتك وهل يستعدون من أنفسهم أم معك يخرجون؟ وكيف تعطيهم سلطاناً ويخرجون لأننا نعلم أن من الملائكة من يكرم الصالحين ومنهم من يعذب الخاطئين؟ وهل نقدر أن نعد الملائكة ونحصيهم؟ وهل يعرف كل واحد منهم عمله أم جميعاً يكون عملهم واحداً؟

فأجاب الرب تبارك اسمه وقال لهم:

---

(١) مخطوط رقم ١٧٩ نسخيات بمكتبة دير السريان العامر.

بعض الملائكة يحملون العرش والبعض الاخر يحملون آكاليل الصالحين والبعض ينفخ في البوق والبعض يحملون سيوفاً من نار والبعض يحشر الخاطئين إلى جهنم والبعض يذهبون بالخائنين إلى الظلمة البرانية والبعض يسيرون بالصالحين إلى ملكوت السماوات والبعض يكرمون الشهداء من أجل عذاباتهم في الدنيا والبعض يخدم الصالحين وكلهم يهللون ويسبحون واعلموا أيها التلاميذ إني بهذا الجسد الذي تروني به أنزل على هذه الدنيا وبهذا الشبه الذي تروني فيه أظهر من السماء وأنا وحدي أعرف ذلك اليوم الذي فيه أجازي كل واحد حسب أعماله لأنني خلقت هذه الخلائق كلها وأنا الذي أغيرها وأعطيها القيامة وأما علامة ذلك اليوم يذهب ضوء الشمس وتطفأ الكواكب وأيضاً يذهب نور القمر وآمر الملائكة أن تخرج من بين أيدي أجناد من الكاروبيم والسيرافيم وأعطي كل واحد منهم سلطاناً على قدر رتبته ليعطوا رعوداً شديدة فتنشق الجبال من أصواتهم وتتزعزع أساسات الأرض والسماء ثم أجيء محمولاً على العرش وأحمل سيف النار وأيضاً أكاليل الرحمة معي وأفتح دفاتر مغفرتي وأظهر الأعمال الخفية والظاهرة وكل شيء عُمِلَ في السر أم العلانية وأهيئ حجلة نور للصالحين وامنحهم نعيماً لا يوصف ولهيب

جهنم للخاطئين. وأجعل جبرائيل ينفخ في البوق وميخائيل يكلل الصالحين وأجعل علامتي على كل من آمن بي وآخذ صليبي بين يدي مثل العلم الذي يكون بين يدي الملك وتخرج الملائكة أجناداً أجناداً ليصيروا الخليقة كأنها لم تكن ينشف البحر وتموت الأحياء التي فيه وتيبس العيون التي في الأرض لأن لا يبقى أحد ليشرب منها وتموت الأشجار وكل النباتات ولا يكن هناك ثمار ويبطل الزرع والحصاد ولا يكون غنى ولا مال وتنحل الأرض ولا يبقى عليها أحد ويبطل الليل والنهار والسنين والأشهر ويغلق الباب فليس هناك توبة بعد بل فزع ورعدة على الناس أجمعين وإذا رأيتم القتال والحروب على الأرض وأمة تقوم على أمة وتكثر المجاعات والأوبئة ويكثر الطغاة والأنبياء الكذبة فاعلموا أن مجيء هذا اليوم قريب وأقول لكم فيه تعالوا إليَّ يا مباركي أبي رثوا ملكوت السماوات الذي هيأته لكم كما وعدتكم وهناك فيه أخدمكم فمبارك ربنا يسوع المسيح الذي هيأ لنا هذه النعم العظيمة مع أبيه الصالح والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

يوم الدينونة

للقديس يعقوب السروجي [1]

من استعلاناتك يا سيدي تهب لي روح الحياة وتتكلم فيَّ قول مدهش على مجيئك .. كمثل سبحك حرك كلمتي يا ابن الله لأربح بها لأن كم من ناطقين يتكلمون الكلمة بغير ربح وكم من تعليم للفلاسفة وإذ ما تعلمه إنسان لم يأخذ منه شيء وكم حكماء تكلموا وأصغوا لكلامهم ولم يعينوا سامعيهم بأصواتهم. كم من معلم ولم يربح إنسان من حكمته لكن كلمتك يا ابن الله ممتلئة حياة. أعطني يا ربنا كلمة ممتلئة من جميع الأرباح وتسير حسناً وبحكمة لتربح سامعيها. صوتك يا ربنا هو الربح أعطني يا ابن الله لأنفع سامعي من أجلك. فمَنْ هو الذي ينظر إلى الشمس العظيم ولم يستضيء به؟ أو مَنْ أكل خبز الحياة ولم يشبعه؟ مَنْ هو الذي شرب منك وعطش يا ابن الله؟ مَنْ هو الذي ذاق مياهك وأتته قوة أن يحمل فمه من ينبوعك؟ كلامك حلو يا ربي أكثر من العسل والشهد. وأي خبز يحلي الفم إلا الذي لك! العالم مُر وجميع كلامه موت. دخلت الحية فيه فمررته ولم يتحلى إلا بك. بشارتك يا ربي تحول الأحزان إلى

---

(١) مخطوط رقم ٢٠٦ ميامر وعظية بمكتبة دير السريان العامر.

فرح دائم فخبر كلمتك يغير الأخبار الغير سارة فكلمتك هي النور الذي طرد ظلام العالم وإنها نافعة لكل سامعيها.

الكلام يبطل وحسنه يضمحل وتسقط قوته وغناه يزول وأنت ثابت ليحيا بك الكل. عطايا العالم زائلة ففي وقت ما يعطيها وفي وقت آخر يأخذها. فبالأمس أخذ الإنسان منه مضطرباً واليوم ليس هو هنا. أمس يتباهى الغني بغناه واليوم يلقى في الهاوية. يفتخر السلاطين بسلطانهم قليلاً ثم تبطل وتنتهي أخبارهم. أما كلمة الحياة فهي دائمة ولا زوال لها لأن كل الأزمان خاضعة لها. يُطرح العالم كالزهر الساقط في الظهر العظيم أما كلمة الحياة فهي جوهرة لسامعيها. يا محب العالم اطرح عنك الزهر الغير مستفاد منه وتعال امسك بيدي لأتعلق بالجوهرة التي ليس لها ثمن. روح القيامة هوذا ينفخ فيّ ويحركني تعال تحرك واسمع على المجيء الممتلئ دهشاً وعجباً. ابن الله سيأتي للحكم والتفتيش ومن لم يخف من يوم الحكم المخوف الآتي سيدان ويلقى في النار فبالنار يحرق التبن أما الحنطة فيحفظها في مخازنه. فكما تأكل النار الحسك هكذا تحرق الخطاة والأثمة. فلنخف إذن من مجيء ابن الله ونسرع جميعنا للتوبة برعب وخوف عظيم. اعلموا ليس كما أتى في مجيئه الأول للصلب هكذا يأتي في

مجيئه الثاني. لأن في المرة الأولى أتى ليكون ذبيح عوض الخطاة أما في تلك فإنه يأتي ليصنع الحكم والبر. ففي المرة الأولى أدانوه وحكموا عليه وفي اتضاعه لم ينطق بكلمة، أما في تلك سيأتي ليدين العالم بشدة اللهيب. ههنا على الأرض صُلِبَ ومن أجل إثم العالم احتمل أما هناك سينتقم من الذين احتقروا صلبوته. ههنا علم ووعظ وبكت البشر والذي لم يسمع تعليمه سيطرح في النار. المجيء الثاني هو يوم مخوف وصعب ومر وممتلئ رعب وغيرة النار التي تأكل الشوك والحسك المرذول. ففيه تنحل الأرض وتنهدم وتسقط أساسات المسكونة. الملائكة تخرج من بيت الآب على الانتقام ويجمعوا العالم للحكم القاطع فرعب يرهب الأرض كلها ويحل حسنها وكل أعمالها كلا شيء. الشمس والقمر وكل النجوم تتناثر وتسقط كشبه الأوراق من الأشجار وتنحل عجلة الزمن من تركيبها ويسقط منها الصباح والمساء المرتبطين بها. فلا يوجد سعي الليالي ولا جري في الأنهر فلا يوجد أزمنة ولا أوقات كما كانت لأن الفلك يتعرى وينحل من تركيبه فلا يأتي الصيف ولا الشتاء كعادتهم وتبطل جميع الأخبار والكلام والأفعال ويفتضح العالم ومحبي العالم. فلا توجد اضطرابات وقلاقل من أجل محبة الفضة ولا توجد قنية. هناك يشرق

النور العظيم على النيات فيتبكت كل شخص من ذاته ويحكم كل واحد على نفسه فكل من ظل بمحبة العالم لم يستفيد شيئاً. محبة الذهب التي يحترق بها العالم هنا جميعه هناك تنطفئ من كل أنفس المتمسكين بها. فلا يوجد اهتمام العالم داخل أنفسهم كما كان وإنما يهتم كل واحد منهم بالنيران التي تحرقه إنه خوف عظيم. نظر ممتلئ رعباً من كل جانب. نعم يزول العالم وكل صوره وكل أشكاله تزول معه والعالم الجديد يظهر نفسه كالضوء الذي يطرد الظلام. وهناك لا يوجد كذب ولا رياء فالحكم العادل وقائم جميعه بالاستقامة. ففي ذلك الحكم يدخل جميع الذين كانوا حكام ليدانوا بالحكم المخوف قدام العدالة وأيضاً يقف الذين كانوا سلاطين أمام العادل عرايا فهناك لا ينظر إنسان ملكاً على رأسه تاج ولا قاضياً له صولجان فكل الذين كانوا سادات يقفون مع الفقراء والمساكين لأنهم جميعاً أمام الحاكم الواحد العظيم الذي وحده له الحكم فلا يوجد محامون ولا مدافعون ولا يطلب كلام حكمة أو فلسفة وإنما الحق والعدل هما يحكمان. فكما يتكرم هنا الغني فهناك يتكرم البار فطوبى لمن يرث في الملكوت فهو حقاً الغني الحقيقي.

مخوف هو يوم الدينونة الرهيب فليسرع كل واحد منا إلى التوبة لينال هناك إكليل الأبدية لأنه ههنا من السهل لكل أحد أن يذهب إلى الطبيب الروحي ليشفي جراحاته ويضمدها. فلا تنم أيها الخاطئ من الطلبة وتغفل عن التوبة فتجد الباب أغلق أمامك ولا يفتح أما هنا فأنت تقرع الباب فيفتح لك ولا يغلق أبداً الباب قدام التائبين. فلنسرع يا إخوتي إلى التوبة لئلا نفتضح في يوم الحكم العظيم الذي للابن الوحيد الذي له المجد الدائم مع أبيه الصالح والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

العقاب الأبدي والدينونة العادلة

المقال الرابع والعشرون – للقديس يوحنا فم الذهب [1]

أيها الذين تركتم أباطيل هذا العمر الزائل احرصوا كل الحرص ألا تميل قلوبكم نحوها مرة أخرى فإن الغنى يزول والمجد يضمحل والجمال يضمر والجميع يعبر متغيراً كالظل المنتقل. وزهرة الشباب تذبل وهكذا بالنسبة لباقي الأشياء. فكالظل هكذا الإنسان فباطل هو أن يضطرب أو ينزعج حزناً على شيء لأنه عن قليل سيمضي ولا يصحب معه شيئاً البتة، سوف نترك كل شيء وسنقف في مجلس القضاء في الدينونة الرهيبة عراة كما ولدنا عراة. سنترك الكنوز التي حشدناها ونذهب فارغين أذلاء مكتئبين خائفين مرتعدين منسحقين ومنكسين وجوهنا إلى الأرض حياءً وخجلاً ممتلئة خزياً وعاراً هكذا هو شعورنا في ذلك الموقف المهول أي موقف الدينونة والعقاب الذي لا يأخذ بالوجوه حيث يقف أمام الكرسي المرهوب وتفتح كتب أعمالنا.

حقاً هو يا إخوتي ان هذا اليوم مخيف ومفزع فمرعب جداً تغيير الخليقة بغتة ونهوضها ووقوفها أمام الديان العادل تجاوب عما صدر

---

(١) مخطوط رقم ١٩٧ ميامر وعظية بمكتبة دير السريان العامر.

منها من الأفعال ومن الأفكار ليلاً ونهاراً. انزعاج عظيم في ذلك الحين يا إخوة وحقاً إنها ألم عظيم تلك الشدة الكائنة في تلك الساعة حيث يضرب البوق وتتناثر الكواكب ساقطة والشمس تظلم ولا تعطي ضوء وتنطوي الأرض والسماء كدرج وتخرج الملائكة لجمع كل البشر فيا له من خوف عظيم ورعدة قاصفة واضطراب لا يهدأ ولنسمع دانيال النبي يقول: " كُنْتُ أَرَى أَنَّهُ وُضِعَتْ عُرُوشٌ وَجَلَسَ الْقَدِيمُ الأَيَّامِ. لِبَاسُهُ أَبْيَضُ كَالثَّلْجِ وَشَعْرُ رَأْسِهِ كَالصُّوفِ النَّقِيِّ وَعَرْشُهُ لَهِيبُ نَارٍ وَبَكَرَاتُهُ نَارٌ مُتَّقِدَةٌ نَهْرُ نَارٍ جَرَى وَخَرَجَ مِنْ قُدَّامِهِ. أُلُوفُ أُلُوفٍ تَخْدِمُهُ وَرَبَوَاتُ رَبَوَاتٍ وُقُوفٌ قُدَّامَهُ. فَجَلَسَ الدِّينُ وَفُتِحَتِ الأَسْفَارُ "[1] ويقول أيضاً عندما رأيت هذه الرؤيا انذهلت وقلقت وفزعت جداً فيا للعجب إذ كان دانيال النبي العظيم حينما شاهد رؤيا الدينونة ارتعد ارتعاداً عظيماً فماذا عسانا نحن نحتمل حين نقدم على هذه الأشياء ونجتمع جميعاً من مشارق الشمس إلى مغاربها ونقف عراة حاملين أوساق خطايانا على أعناقنا وهي ظاهرة للجميع. ففي تلك الساعة الألسن المتكلمة بالإلحاد والأباطيل والأكاذيب تلتهب في السعير التهاباً متصلاً ولا تجد من

---

(١) دا ٧: ٩، ١٠.

يرطبها وأسنان النمامين عندما تلمسها الملائكة تنسحق كالفخار وأفواه المجدفين تسد بجمر النار المضطرم وأيدي محبي الفضة ترتجف كالأوراق وتعلق مجردة بألم لا يطاق والأعين التي كانت تنظر شروراً تضحى منفجرة ألماً فأين عند ذلك الأهل والأنسباء؟ وأين حينئذ الأب الشفوق والأم المتحننة والإخوة الأحباء؟ أين الأصدقاء؟ وأين الجيران الأوفياء؟ أين حينئذ سلطة ملوك الأرض وأكابر الولاة والحكام؟ وأين حينئذ رونق الذهب البهيج؟ وأين رنين الفضة وطنينها؟ أين الخواتم والحلي الثمينة؟ أين المنازل الفخمة والبساتين والرياض؟ أين الكنوز المحفوظة؟ وأين حينئذ المتهاونون المساكين؟ وأين الذين أهانوا محبة الله؟ وأين الذين يجحدون العقاب ويحسبون أنفسهم أنها عديمة الموت؟ أين حينئذ الذين يضحكون ويقولون أعطنا اليوم وخذ غداً؟ وأين الذين يشربون الخمر ويسكرون والذين يقولون لنأكل اليوم ونشرب لأننا غداً سنموت؟ أين حينئذ القائلون لنحظى ههنا بالأشياء الموجودة أمامنا أما الأشياء المستأنفة الله أعلم بها؟ فكم من ندامة تستحوذ على مثل هؤلاء القائلون هذه الأقاويل كم يندبون وينوحون ولا أحد يرحمهم، كم يتنهدون ولا أحد يشفق عليهم وحينئذ يقول بعضهم لبعض ويحاً لنا كيف أننا ضحكنا على ذواتنا فأهلكناها كنا

نسمع عظات ونحن لا نصغي وكنا نسمع النصيحة وكنا لا نؤديها، يعلموننا فنتهاون، يقدمون لنا براهين وشهادات ونحن لا نصدق. كنا نسمع تلاوة الكتب ونضل ذواتنا عنها فعادلة هي دينونة الله وحقاً أن الله عادل فإننا جوزينا بحسب استحقاقنا. يا له من خسران مفرط فلأجل لذة وقتية نجسة نعاقب عقاباً مؤبداً. لقد توانينا وقتاً يسيراً فها نحن غارقون في تيار نار أبدية ولأجل مجد حقير زائل سقطنا من ذلك المجد الحقيقي الدائم ولأجل ترفه وقتي عدمنا النعيم الأبدي. تمتعنا في الدهر الباطل زماناً يسيراً وها نحن نتألم زماناً أبدياً، أما أولئك الذين لم يتمتعوا فيه فهم الآن فرحون مسرورون وأولئك الذين آمنوا إيماناً بريئاً من الشك والارتياب والذين طهروا ذواتهم ها هم الآن يمرحون في الخدر السماوي والذين تابوا باكئين نائحين على خطاياهم فهم الآن يبتهجون دهراً أبدياً لا ينقطع. والذين فرقوا غناهم في الإحسانات فهم الآن يحصلون على غنى مجيد بفرح وسرور. والذين تهاونوا بالأرضيات فهم الآن يتمتعون بالسمائيات. أما نحن الأشقياء لقد سلمنا أنفسنا إلى عقاب مريع فالآن نصرخ وليس من يرحم ونتنهد تنهداً مريراً وليس من ينجينا.

فيا إخوتي يجب علينا أن نستيقظ ولكي لا أقول لكم إننا سنضاهي أولئك الجهلة في الدهر المزمع لأننا نعيش في تواني كثيراً فهلم يا أحبائي أن نسرع ونترك التهاون والكسل ونسبق سارق نفوسنا (أي الموت) لنقدم توبة فما دام لنا وقت لنتنهد وننوح على خطايانا ونفعل كل رحمة. وأتضرع إليكم يا إخوتي أن نرفع أيدينا نحو الذي هو قادر على خلاصنا ونجاتنا ونبتهل إليه قائلين: " خلصنا يارب لأننا قد هلكنا " ولنحاضر إليه قبل أفول الشمس وقبل أن يغلق الباب، وقبل أن ينقضي موسم هذا العمر لأنه متى أدركنا الليل فلا يمكن لأحد أن يفعل شيئاً ينجو به ومتى انصرم موسم الحصاد فلا يوجد لأحد اجتهاد بعد ولا رجاء بعد ولا إكليل بعد. فلنسرع يا إخوة إلى الرب لأن الطريق ضيق وعسير ويلزمنا أن ندخل فيه ونعبد الرب باجتهاد وصبر حتى إذا ما وصلنا وقرعنا الباب لا نسمع الإجابة بأنني لا أعرفكم فلنستحي من ذلك السيد المحب الذي نهينه دفعات كثيرة بأعمالنا الرديئة ونغضب ذلك المحسن إلينا وهو مع ذلك يجود علينا ويرحمنا ونحن ننكر إحساناته وهو يتراءف علينا ونحن نتهاون بحقوقه وهو فدانا ومنحنا مواهبه وكل يوم يعتني بنا ونحن كل يوم نخالف وصاياه ولا نخجل منه فلنخجم الآن عن أعمالنا التي لا ترضيه

لأن الوقت قد أزف واليوم قد اقترب وقد حان الميعاد أن نعطيه الجواب عن جميع ما فعلناه كل زمان حياتنا إن كان صالحاً أم طالحاً فلنكف عن الاهتمام بالأمور الجسدانية والأمور الدنيئة فلنقلع عن الشتيمة والوقيعة ولا نهين كهنة الله لئلا ندان كشاتمي السيد المسيح نفسه ولنتفرغ للصلوات الحقيقية بالتوسلات والطلبات والقراءة والتأمل ولنجاهد في التوبة النقية مع الأصوام والاعتراف الخالص من كل غش ومكر لأن هذا الزمان شرير هو ونحتاج فيه إلى دموع حارة وأتعاب روحانية لكونه أوان الرجوع إلى الله فلنفكر أيضاً في ساعة الدينونة ولنبكي هنا على خطايانا وقتاً يسيراً لئلا نبكي هناك بكاءً أبدياً ونجتهد هنا اجتهاداً زمانياً لئلا نعاقب هناك عقاباً مخلداً فالدينونة عظيمة ومرهبة يا إخوتي وكل منا يطلب الزمان الذي أضاعه فلا يوجد فمن أضاع ذهباً أو فضة من الممكن أن يعوض ذلك أضعافاً أما من أضاع زمانه فلا يجد عنه بديلاً. فالويل لمن أضاع زمانه وأضاع توبته فإنه سيمضي إلى ديان حقيقي. فنشفق على أنفسنا يا إخوتي ونسلك بتوبة وباتضاع فالرب طوّب الجياع والعطاش إلى البر ونحن نعلم أن الجسد تراب وسيأتي وقت سيتحول هذا التراب إلى تراب. لأن تلك الساعة دانية ولا مناص منها فلا نضلل ذواتنا بذواتنا

فلنفرض إننا لو تنعمنا وعشنا حياة الترف والبذخ فكم سنة نقضيها؟ خمسين سنة أم مائة سنة وبعدها الشيخوخة والهرم وبعدها تتعاقب الأمراض والأوجاع وتنهك طبيعة جسدنا وتضعف وتأتي الساعة الرهيبة التي لا مفر منها ونفارق هذه الحياة وهذه الأمور كلها نحن نعرفها ومع ذلك نهملها ونتهاون بها فأي خوف رهيب يحدث في ذلك الوقت يا إخوتي وأي رعدة جسيمة تزعج الأبصار عندما نرى النفس منفصلة عن الجسد إنها ساعة رهيبة عندما يختفي الصوت ويمتنع اللسان عن أن يتكلم كلاماً فصيحاً مفهوماً وتطوف الأعين هنا وهناك وهي شاخصة لا تعرف الإخوة ولا الأهل ولا الأصدقاء المحدقين حولها. وحتى ولو عرفناهم لا يمكننا مكالمتهم أبداً بل إننا نسمع عويلهم وندبهم لا غير ونحن لا قدرة لنا على تعزيتهم ونرى أولادنا حزانى باكين ونحن نتوجع لأجلهم ولا أريد أن أقول أكثر من ذلك لأني أريد أن نعتني بخلاص أنفسنا وتقديم توبتنا وكيف نواجه الديان العادل وبأي لسان نجاوبه؟ وأي غفران وصفح ننال منه؟ وهل لنا ثقة إنه يقبلنا؟ ففي هذه الأمور يجب أن نتفكر لأن عند انفصال النفس من الجسد لا نجد من يسعفنا وكل واحد منا يصرخ ويقول ارحموني ارحموني لا أستطيع أن أفارق الحياة ولا أقف أمام الديان لأني عديم الثمر وكلي دنس فلا

تفصلون نفسي من جسدي وأنا ممتلئ إثماً وخطية بل اتركوني زماناً يسيراً لأتوب وأنوح بتنهد وأفعل الرحمة والحسنات فأنا أضعت عمري رديئاً في الأعمال الفاحشة والفاسدة. فعندما تسمع الملائكة ذلك يجيبونها بقساوة قائلين لها هكذا: أيتها النفس الشقية الحزينة التعيسة لقد صرفت أيامك كلها في الكسل والتواني والآن تفضلين التوبة والنجاة إنه من المستحيل ومن الممنوع جداً رجوعك لأن شمسك قد غابت وأيامك في هذه الحياة انتهت والآن الله يدعوك للدينونة التي تستحقينها فاخرجي أيتها النفس الشقية اخرجي وانفصلي من جسدك لتنتظري الحكم عليك في النار الأبدية حسب أفعالك الرديئة فإن خلاصك قد نفذ زمانه وزمان رجائك قد انقطع منك وها هوذا الآن ينتظرك العقاب الأبدي.

ها قد سمعتم يا إخوتي هذه الحقائق والأقوال الصادقة فإن اعتقدتم أنها حقيقة فعلاً ولا ريب فيها فلنجاهد قبل اقتراب الساعة ونسرع نحو منهج التوبة ولا تحتج وتقول محتجاً بأنني لا توبة لي لأنني سرقت وفسقت وزنيت وقتلت وكل أفعالي رديئة فكيف الله يقبلني. فإياك يا أخي الحبيب من هذه الأقوال فاقبل إلى التوبة ولا تقل هكذا لأن الله يقبل الجميع متى جاءوا إليه بالتوبة الصادقة فكما قبل اللص

والزانية والعشار والابن الشاطر هكذا يقبلك. فلنقرع إذن باب تعطفه بالتوبة قائلين: افتح لنا يا إلهنا افتح لنا ها قد أتينا إليك نحن عبيدك الخطاة الغير مستحقين وإليك لجأنا متضرعين إليك أن تقبل توبتنا وترحمنا ونرسل المجد والإكرام والعظمة والسجود لك أيها الآب والابن والروح القدس من الآن وإلى كل أوان وإلى دهر الدهور وإلى الأبد آمين.

في محبة الله وعقاب الأشرار

المقالة الثامنة – للقديس يوحنا فم الذهب [1]

كثير منا نحن المسيحيون متفرغون للاهتمام بالأرضيات ومنصبون في آلام هذا العالم وصانعون كل نوع من الخطايا مخالفين الوصايا ظانين أن بعد الممات لا يوجد عقاب وعذاب أبدي محتجين قائلين: " أن الله محب للبشر ولا يعاقب الخطاة ". نعم لا شك أبداً في أن الله محب للبشر وهو لم يزل هكذا إلى أبد الأبد لكن أنه من الجيد أن نعرف أن الله قاض عادل. فإذا نال أحد من الله خيرات جزيلة كالعافية والغنى ورغد العيش في حياته كلها ثم وُجِدَ بعد ذلك أنه عديم الشفقة والرحمة ويظلم ويخطف ما ليس له ويعمل كل فاحشة من الرذائل ولا يجنح إلى التوبة ولا إلى وعود الله كما هو مكتوب في الكتب المقدسة أليس ذلك الإنسان يستحق العذاب الأبدي. إن شتم أحدنا من لم يظلمه أليس هذا يجب أن يعطي جواباً عما فعله؟ وإذا شتم أحدنا المحسن إليه بخيرات جزيلة فأية مسامحة أو أي عفو يستحق؟ فكيف أنت لا تخف الله وتتجرأ قائلاً: " الله محب للبشر وهو لا يعاقب الخطاة ولا عديمي الشكر "؟ فإن كان الله لا يعذب

---

(١) مخطوط رقم ١٩٧ ميامر وعظية بمكتبة دير السريان العامر.

الخطاة الأشرار – حسب زعمك هذا – فليس إذن محباً للبشر فإن كان الأشرار واللصوص والقتلة لا يعاقبون والقديسون لا يكللون فأين محبة الله للبشر؟ وأين عدل الله؟ فلهذا يا إخوتي لا تسمحون لعدوكم الشيطان أن يهجس بهذه الأقاويل في نفوسكم فإن هذه الأفكار كلها حيله واختراعاته. فإذا كان القضاة الأرضيون يكرمون الناس الصالحين ويعاقبون الأشرار المخالفين فكم بالأولى أن الله يصنع هكذا. وإن كان الخطاة الذين يعرفون أن هناك عقاب أبدي ومع ذلك لا يتركون خطاياهم فكم يصنعون من شرور إذا علموا قولك هذا بأن الله لا يعاقب الخطاة بل ينالون ملكوت السماوات لأن الله محب للبشر؟!! والعجيب أن البعض يقولون أن الله ذكر العقاب الأبدي لأجل الترهيب والتخويف فقط لكن إنه رؤوف ورحوم وشفوق، فأقول لهؤلاء إن كان الأمر هكذا فلماذا الله جلب الطوفان في أيام نوح البار؟ ومن هو الذي أرسل ناراً وصواعق على سدوم وعامورة؟ ولماذا؟ ومن أغرق فرعون ومركباته في البحر؟ ومن جعل الأرض تفتح فاها وتبلع قورح وداثان وأبيرام؟ ... لهذا لا نشك بوجود العقاب لئلا نسقط فيه. الذي لا يؤمن بوجود العذاب الأبدي يتهاون في أمر خلاص نفسه لكونه غير خائف ولهذا يقع ويجلب على

نفسه العذاب. فيجب علينا أن نؤمن إيماناً حقيقياً بريئاً من الشك والارتياب بأن هناك عقاب وعذاب أبدي ونتداول ذلك الأمر مع بعضنا بعضاً لكي يحفظنا ذلك من الرجوع إلى الخطية. اعلموا يا إخوتي أن التأمل في الموت والعذاب الأبدي بمنزلة الدواء المر المذاق الذي ينقي النفس من كافة الشرور والخبائث وذلك إذا استعملناه بمداومة. فمثلاً إذا كنت بخيلاً وعديم الرحمة تفكر وتأمل في الخمس عذارى الجاهلات اللواتي كانت مصابيحهن مطفأة لأن لم يكن لديهن رحمة لهذا سقطن ولم يدخلن إلى العرس السمائي وبذلك تخاف من العقاب الأبدي فيمكنك أن تقتني الرحمة وتفعلها وتصير رحوماً. وعندما تسمع قول السيد المسيح اربطوا يديه ورجليه وألقوه في الظلمة البرانية حينئذ يمكنك أن تطرد عنك الشهوة الرديئة. وإن كنت سكيراً حنجرياً فتتأمل عذاب الغني وقوله لأبينا إبراهيم يا ابي إبراهيم أرسل لعازر ليندي لساني بقليل من الماء لأني أتقلي هنا في لهيب الجحيم حينئذ تكف عما كنت تفعله. وإن صارعتك شهوة الزنا تتأمل النار التي لا تطفأ والدود الذي لا يموت المعد للزناة فيخمد عنك اضطراب الشهوة الدنسة. فتأملك في الموت والعذاب الأبدي يساعدك على عدم فعل الخطية أو كسر الوصية.

ولماذا يا إخوتي أرهبكم بالنار والعقاب الأبدي ألا تعلمون أن الابتعاد عن الله هو أشد من كل عقوبة؟ فمتى مُنعنا عن النظر إلى السيد المسيح فهذا هو العقاب الحقيقي فلا يوجد عذاب أليم أشد من عدم النظر إلى الرب الإله فمقدار مرارة ألمه لا يوصف. وإذا كان الأمر هكذا فلماذا نشتهي الإقامة والخلود في هذه الدار الفانية التي أعني بها الدنيا.

وكما إذا طرح أحد الرجال المكرمين في سجن وألقي في نتانة الحبس المظلم وقُيد مع اللصوص والقتلة فكم وكم يرى ذلك أشد عذاباً عليه من الموت هكذا من يساق إلى سجن الجحيم ليعاقب مع القتلة والزناة فهناك أي في الجحيم أيضاً لا يبصر أحداً ولا أحد يبصره بل يكون منفرداً وغريباً عن كل تعزية. فمن شدة الظلام الكائن هناك لا يقدر المقيمون أن ينظروا شيئاً أو يعرفوا من بجانبهم بل كل أحد يعاقب على حدة ولو قيل أن هناك ناراً ولهيباً لكن لا يوجد لهذه النار أو لهذا اللهيب نوراً بل الكائنون بها يحترقون وهم في ظلام ولا يوجد حولهم أية إنارة أو إضاءة ولا يخمد عنهم اللهيب ولا يكفي هذا فقط بل يشملهم أيضاً وجع أليم لأنهم سيبقون في هذا الوضع إلى أبد الآباد لهذا قيل عنها أنها نار لا تطفأ ودود لا يموت. هذه هي الأوجاع

والعقوبات المؤلمة المرة المهيأة للخطاة الذين لم يتقدموا للتوبة في زمان حياتهم على الأرض. إذا كان الإنسان على الأرض عندما يزور سجناً ويرى المكتئبي الوجوه كالأموات أو عندما يشاهد المكبلين بالحديد والأغلال في أعناقهم يحرص ذلك الإنسان كل الحرص ويجتهد كل الاجتهاد بأن لا يسقط في شدة هؤلاء المطروحين في السجون. فكم وكم يجب علينا أن نجتهد وأن نتعب حتى لا نلقى في نار الجحيم حيث القيود النارية التي لا تطفأ بل على الدوام ملتهبة ولا يوجد عزاء ولا تسلية ولا راحة ولا نوح.

اعلموا يا إخوتي لو أن الآباء نوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ودانيال أبصروا أهاليهم معذبين فلم يتجرأ أحدهم أن يتضرع إلى الله من أجلهم أو يقدروا أن يمدوا أيديهم ليخرجوهم من العذاب الدائم لأن في يوم الدينونة تضمحل المسامحة ولا يكون هناك مغفرة حتى أنه قد يتفق أن آباء صالحين يشاهدون أولادهم الخاطئين في الجحيم أو العكس أولاد صالحين يشاهدون آباءهم الخطاة في هذا السعير وهم لا يحزنون عليهم ولا يكتئبون لأن القديسين لا يصادفهم حزن ولا ضيق ولا كآبة منذ دخولهم الخيرات السمائية، فلقد تنطفئ منهم حرارة الشفقة على الذين في العذاب المؤبد. فلا يأمل أحد منا أن ينال

هناك خيرات ما لم يصنع هنا أعمالاً صالحة ولو كان له آباء وأسلاف صديقين. فإذا أضعنا زماننا الذي أعطانا إياه الله في الكسل وعدم الاعتناء بالصالحات فإننا نطالب به ولابد أن نعطي جواباً عنه كالذي اقترض فضة ثم أنفقها في المأكل والمشرب فمتى طالبها المقرض منه وهو لم يردها فإنه سيضعه في السجن هكذا إذا صرفنا حياتنا في الطرق الرديئة فإننا مزمعون أن نحاسب على كل ما فعلناه. فكما أن البشر يحاسبون عبيدهم على ما أعطوهم إياه هكذا الله سيحاسبنا على المعمودية المقدسة التي دنسناها وعلى طهارتنا التي أفسدناها وهكذا الله سيحاسب الجميع إن كانوا أغنياء أم فقراء.

الله سيفحص الأغنياء إن كانوا جمعوا غناهم بأتعاب صادقة وطرق مشروعة أم كانت عن طريق الخطف والجشع، وأيضاً هل أنفقوا قنيتهم على الفقراء والمساكين أم أنفقوها على الزنا والترف والبذخ والسكر. وسيفحص أيضاً الفقراء هل هم صبروا بشجاعة شاكرين الله على فقرهم ولم يتذمروا على أحكام الله وتدابيره متى رأوا غيرهم في عيش رغد ولديهم من كل الخيرات وأيضاً الله سيفحص القضاة والملوك إن كانوا حكموا جوراً وعدواناً أو إن كانوا حابوا وجهاً وأفسدوا حقاً. الله سيفحص الجميع وأيضاً كل

الرتب الكهنوتية الكل سيعطي جواباً عن أفعاله. فلا يمكن لأحد أن يفر من العقاب الأبدي ما لم يحل عنه أولاً وسق خطاياه هنا على الأرض بواسطة الاعتراف النقي والتوبة الحقيقية. احذر أن تسقط في اليأس قائلاً: " دعني أن أعمل الخطية لأن مصيري سأعاقب " أسرع إلى الله بالتوبة طالما يوجد لك عمر من الزمان وثق كل الثقة أن الله يقبلك وهنا تكمن محبة الله للبشر.

ويا إخوتي نشكر ربنا يسوع المسيح محب البشر الذي يسمح بضيقات وبعض الألم لنا هنا على الأرض وذلك لكي يخلصنا من كسلنا وينهضنا من رقاد الخطية. فمثلاً إن كان أحد زانياً أو يعمل خطية ما فيسمح له الله بأحد الأمراض لكي يكف عن خطيته ويقدم عنها توبة فيخلص وإن بقى في الخطية ولم يتب فلن يحصل له نفع البتة بل إنه ينال أشد العذاب لإهماله ولاستحقار ما صنعه الله. فالله طبيب ماهر يعرف ما يحتاج إليه المريض بالخطية ويداويه وإن رفض المريض الدواء ونصائح الطبيب فيبتليه المرض ويعيش معذباً. فبالعقاب يقصد الله أن يصير الخطاة أبراراً ويخيفهم بالعذاب الأبدي لا لكي يضعهم فيه بل لكي ينجيهم منه فالذي لا ينتبه ولا ينهض نفسه من الخطية ولا يحب التأديب هنا على إثمه فإنه يثبت محبته

للعيش في هذا العالم الفاني أما الذي يخاف التأديب ويرهب يوم الدينونة – المزمع أن يدان فيه كل المسكونة – يهرب من الخطية بكل أنواعها ويجتهد أن يكون وديعاً متواضعاً ورحوماً ومحبوباً من الكل وهنا يصبح الخوف نافعاً جداً لميراث ملكوت الله.

يا إخوتي أرى كثيراً من الناس الجهلة لا يعيرون اهتماماً بأن يروا مجد ربنا يسوع المسيح في مجيئه بل يقولون: " لا نريد سوى أن لا نعاقب في الجحيم " ألا تعلمون أن عدم رؤية مجد ربنا يسوع المسيح أشد من كل عقاب. فعدم الحظو بمجد الرب يوم مجيئه أرهب من أية عقوبة لهذا أبكي وأنوح على مثل هؤلاء فاعلموا أن الذي أحبنا ليس هو إنسان ساذج وإنما إله تجسد لأجلنا تألم وصلب لكي يخلصنا ... يا ليته كان ممكناً أن تنظروا اللهيب الكائن داخل مهجتي حتى ترون الألم الحاصل لي فإني أحترق من أجلكم أيها الشعب المسيحي كما تحترق المرأة الثكلى على أبنائها حتى تجتهدوا بأن نجيز أيام حياتنا بالتوبة والأعمال الصالحة وإرضاء ربنا لنحظى بالخيرات الأبدية بنعمة ربنا يسوع المسيح محب البشر الذي له كل مجد وإكرام من الآن وإلى دهر الدهور آمين.

في يوم القيامة العظيمة

للأنبا يوساب أسقف أخميم وجرجا [1]

قال ربنا يسوع المسيح في الإنجيل المقدس:

" وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ مَعَهُ فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ وَيَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ فَيُمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا يُمَيِّزُ الرَّاعِي الْخِرَافَ مِنَ الْجِدَاءِ. فَيُقِيمُ الْخِرَافَ عَنْ يَمِينِهِ وَالْجِدَاءَ عَنِ الْيَسَارِ " [2] لقد أخبرتكم يا إخوتي فيما مضى عن أهوال الموت وما يقاسي الإنسان عند خروج الروح من الجسد، فحينما تنتقل الروح من الجسد تمضي إلى حيث تستحق إما الفردوس السمائي أو إلى نار الجحيم كحسب أفعالها إلى يوم حكم الله العظيم الذي فيه يظهر حكمه وعدله على جميع بني البشر، كما قال معلمنا بولس الرسول: " لاَ تَحْكُمُوا فِي شَيْءٍ قَبْلَ الْوَقْتِ حَتَّى يَأْتِيَ الرَّبُّ الَّذِي سَيُنِيرُ خَفَايَا الظَّلاَمِ وَيُظْهِرُ آرَاءَ الْقُلُوبِ. وَحِينَئِذٍ يَكُونُ الْمَدْحُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ اللهِ " [3] فكل ما يعسر علينا في هذه الحياة من عدم معرفة الأفكار والآراء سيظهر في يوم الرب. ومعلمنا

---

(١) مخطوط رقم ١٢٥ لاهوت بمكتبة دير السريان العامر.

(٢) مت ٢٥: ٣١ – ٣٣.

(٣) ١كو ٤: ٥.

داود النبي قال: " يُمْطِرُ عَلَى الأَشْرَارِ فِخَاخاً نَاراً وَكِبْرِيتاً وَرِيحَ السَّمُومِ نَصِيبَ كَأْسِهِمْ لأَنَّ الرَّبَّ عَادِلٌ وَيُحِبُّ الْعَدْلَ. الْمُسْتَقِيمُ يُبْصِرُ وَجْهَهُ " (١) ولابد في هذا اليوم يظهر عزته وجبروته وقوته لكل البشر لأن كل البشر لم يعرفوا السيد المسيح كما قال القديس يوحنا الإنجيلي: " كَانَ فِي الْعَالَمِ وَكُوِّنَ الْعَالَمُ بِهِ وَلَمْ يَعْرِفْهُ الْعَالَمُ كَانَ فِي الْعَالَمِ وَكُوِّنَ الْعَالَمُ بِهِ وَلَمْ يَعْرِفْهُ الْعَالَمُ " (٢) حقاً كثيرون من الوثنيين واليهود والهراطقة لم يعرفوه بل شهدوا عليه بالزور وحكموا عليه بالصلب فمثل هؤلاء لابد أن يصيبهم الخوف والذعر والرهبة في ذلك اليوم الرهيب القادم إلى العالم ويتعظم اسمه القدوس كما قال معلمنا بولس الرسول: " لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ " (٣) فكل واحد سيأخذ حقه فكثيرون من الصالحين اُتهموا من أناس أشرار وتعذبوا من أجل أعمال لم يفعلوها وكثيرون أيضاً من الصالحين صنعوا خيرات وحسنات وأخفوها عن وجوه الناس والطالحين والمرائيين أيضاً في الخفاء والسر صنعوا خطايا

---

(١) مز ١١: ٦، ٧.

(٢) يو ١: ٩، ١٠.

(٣) في ٢: ١٠، ١١.

لم تعرفها بقية الناس فليس خفي إلا سيظهر ولا مكتوم إلا وسيعلن أي أن كل ما يفعله الإنسان خيراً كان أم شراً، صالحاً أم طالحاً لابد أن يتضح جهراً في ذلك اليوم الرهيب وذلك لأجل خزي المستكبرين والمرائيين ولأجل مجد الصالحين فالله يجمع كل البشر ليعطيهم جزاءهم علانية فكل واحد كحسب أعماله فلابد من وجوب الدينونة والآن أريد أن أكلمكم عن شدتها وصعوبتها.

الأنبياء لما أخبروا عن ذلك اليوم دعوه يوم الغضب فقال صفنيا النبي: " قَرِيبٌ يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمِ. قَرِيبٌ وَسَرِيعٌ جِدّاً. صَوْتُ يَوْمِ الرَّبِّ. يَصْرُخُ حِينَئِذٍ الْجَبَّارُ مُرّاً ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمُ سَخَطٍ. يَوْمُ ضِيقٍ وَشِدَّةٍ. يَوْمُ خَرَابٍ وَدَمَارٍ. يَوْمُ ظَلاَمٍ وَقَتَامٍ. يَوْمُ سَحَابٍ وَضَبَابٍ "(١) ويقول أيضاً ملاخي النبي: " فَهُوَذَا يَأْتِي الْيَوْمُ الْمُتَّقِدُ كَالتَّنُّورِ وَكُلُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَكُلُّ فَاعِلِي الشَّرِّ يَكُونُونَ قَشّاً وَيُحْرِقُهُمُ الْيَوْمُ الآتِي قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ فَلاَ يُبْقِي لَهُمْ أَصْلاً وَلاَ فَرْعاً وَلَكُمْ أَيُّهَا الْمُتَّقُونَ اسْمِي تُشْرِقُ شَمْسُ الْبِرِّ وَالشِّفَاءُ فِي أَجْنِحَتِهَا فَتَخْرُجُونَ وَتَنْشَأُونَ كَعُجُولِ الصِّيرَةِ وَتَدُوسُونَ الأَشْرَارَ لأَنَّهُمْ يَكُونُونَ رَمَاداً تَحْتَ

---

(١) صف ١: ١٤، ١٥.

بُطُونِ أَقْدَامِكُمْ يَوْمَ أَفْعَلُ هَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ "[1]. هذا اليوم يسمى يوم الرب لأن الأيام الماضية هي أيام الناس يفعلون فيها مرادهم فمنهم من يحلف بالباطل ومنهم من يجدف ويقتل ويفسد ويغتصب مال الغير والفقير قهراً والله مطلع عليهم من سماء قدسه صابراً عليهم ويطيل أناته لعلهم يتوبون وبغتة يأتي وينتقم منهم بغضبه نقمة لا توصف، ففي ذلك اليوم كما قال داود النبي: " قُدَّامَهُ تَذْهَبُ نَارٌ وَتُحْرِقُ أَعْدَاءَهُ حَوْلَهُ. أَضَاءَتْ بُرُوقُهُ الْمَسْكُونَةَ. رَأَتِ الأَرْضُ وَارْتَعَدَتْ ذَابَتِ الْجِبَالُ مِثْلَ الشَّمْعِ قُدَّامَ الرَّبِّ قُدَّامَ سَيِّدِ الأَرْضِ كُلِّهَا "[2] وأيضاً إشعياء النبي يصف أن الرب سيأتي بالنار ويدين العالم[3]. فهذه النار تحرق الأرض وكل زينتها ولا يبقى منها شيء لا مدينة ولا قرية ولا بستان ولا شجرة ولا زهرة ولا حشيشة واحدة ولا طائر ولا بهيمة فكما قال معلمنا بطرس الرسول: " لاَ يَتَبَاطَأُ الرَّبُّ عَنْ وَعْدِهِ كَمَا يَحْسِبُ قَوْمٌ التَّبَاطُؤَ، لَكِنَّهُ يَتَأَنَّى عَلَيْنَا، وَهُوَ لاَ يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ وَلَكِنْ سَيَأْتِي كَلِصٍّ فِي اللَّيْلِ، يَوْمُ الرَّبِّ، الَّذِي فِيهِ تَزُولُ السَّمَاوَاتُ بِضَجِيجٍ، وَتَنْحَلُّ الْعَنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً، وَتَحْتَرِقُ الأَرْضُ

---

(١) ملا ٤: ١ – ٣.

(٢) مز ٩٧: ٣ – ٥.

(٣) راجع إش ٣٤: ٤، ٥١: ٦.

وَالْمَصْنُوعَاتُ الَّتِي فِيهَا "[1] وقال أيضاً معلمنا بولس الرسول: " لأَنَّكُمْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِالتَّحْقِيقِ أَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ كَلِصٍّ فِي اللَّيْلِ هَكَذَا يَجِيءُ لأَنَّهُ حِينَمَا يَقُولُونَ: «سَلاَمٌ وَأَمَانٌ» حِينَئِذٍ يُفَاجِئُهُمْ هَلاَكٌ بَغْتَةً، كَالْمَخَاضِ لِلْحُبْلَى، فَلاَ يَنْجُونَ "[2] وقال في موضع آخر: " هَيْئَةَ هَذَا الْعَالَمِ تَزُولُ "[3]. ويقول يوحنا الرائي: " وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ، وَالشَّمْسُ صَارَتْ سَوْدَاءَ كَمِسْحٍ مِنْ شَعْرٍ، وَالْقَمَرُ صَارَ كَالدَّمِ، وَنُجُومُ السَّمَاءِ سَقَطَتْ إِلَى الأَرْضِ كَمَا تَطْرَحُ شَجَرَةُ التِّينِ سُقَاطَهَا إِذَا هَزَّتْهَا رِيحٌ عَظِيمَةٌ. وَالسَّمَاءُ انْفَلَقَتْ كَدَرْجٍ مُلْتَفٍّ، وَكُلُّ جَبَلٍ وَجَزِيرَةٍ تَزَحْزَحَا مِنْ مَوْضِعِهِمَا وَمُلُوكُ الأَرْضِ وَالْعُظَمَاءُ وَالأَغْنِيَاءُ وَالأُمَرَاءُ وَالأَقْوِيَاءُ وَكُلُّ عَبْدٍ وَكُلُّ حُرٍّ، أَخْفَوْا أَنْفُسَهُمْ فِي الْمَغَايِرِ وَفِي صُخُورِ الْجِبَالِ، وَهُمْ يَقُولُونَ لِلْجِبَالِ وَالصُّخُورِ: اُسْقُطِي عَلَيْنَا وَأَخْفِينَا عَنْ وَجْهِ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَعَنْ غَضَبِ الْحَمَلِ، لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ يَوْمُ غَضَبِهِ الْعَظِيمُ. وَمَنْ يَسْتَطِيعُ الْوُقُوفَ؟ "[4].

---

(١) ٢بط ٣: ٩، ١٠.

(٢) ١تس ٥: ٢، ٣.

(٣) ١كو ٧: ٣١.

(٤) رؤ ٦: ١٢ – ١٧.

اعلموا يا إخوتي عندما تقوم الأجساد تتحد مرة أخرى بأرواحها لكي يأخذ الاثنان جزاءهما معاً لأن النفس والروح شركاء في الأفعال لأن النفس بغير الجسد لا تستطيع أن تفعل شيئاً وأيضاً الجسد بلا روح ميت وليست له حركة البتة فهما الاثنان تعبا معاً وفعلا الفعل معاً لذلك من الضروري والواجب أن يكون الجزاء لاثنيهما معاً. فلأجل هذا يا أحبائي لا تكون عبادتكم بالوجه فقط بل بقلب طاهر ونية صالحة لا يشوبها رياء ولا تدينوا بعضكم بعضاً بل اتركوا الدينونة للديان الذي لم نخف عنه شيء، وليكن كلامكم نعم نعم لا لا لأن كل كلمة بطالة سيعطى عنها جواباً في يوم الدين فلابد من الوقوف أمام منبر المسيح الذي له المجد الدائم ونطلب منه أن يباركم ويجعلكم عن يمينه في ذلك اليوم العظيم ويسمعكم الصوت الفرح الممتلئ نعمة وبهجة وسرور وعزاء ونعيم القائل تعالوا إليَّ يا مباركي أبي رثوا الملك المعد لكم من قبل إنشاء العالم، ما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر ما أعده الله لمحبي اسمه القدوس الذي ينبغي له المجد والعزة والإكرام والسبح والسجود الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

انقضاء العالم وإتيان ضد المسيح

للقديس مار أفرام [1]

كيف أتجرأ أنا الحقير الخاطئ وأستطيع أن أصف الأمور التي تفوق مقدرتي التي عن انقضاء العالم وعن إتيان التنين الشديد الوقاحة ولكن المخلص بنعمته وفضله جعل لساني ينطق بسماح منه لمنفعتي ومنفعة جميع الذين يسمعون كلماتي فأقول بزفرات على الخبيث أعني ضد المسيح العتيد أن يقلق جميع ما تحت السماء وكافة المسكونة معاً صانعاً آيات وعلامات وعجائب مذهلة حتى إن أمكنه يخدع مختاري الله ويسترق الكل بأكاذيب آياته وعجائب تصير منه. فبسماح من الله القدوس يأخذ ضد المسيح سلطاناً حتى يمتحن ويضل العالم من أجل كثرة النفاق وتزايد خبث الناس وافتعال الشر في كل موضع فمن أجل هذا السيد الطاهر القدوس سمح بأن يجرب العالم من أجل نفاقهم بروح ضلال لأنهم فضلوا أن يبتعدوا عن الله ويحبون الخبث. ففي تلك الأوقات حزن عظيم وشدة تدرك كافة الناس ولا سيما المؤمنين القديسين لأن هذا التنين يصنع عجائب وآيات ويرى ذاته كإله لأنه يقاوم الله بآيات مهولة وبقوة كبيرة يهتف حتى يفزع الناس

---

(١) مخطوط رقم ١٧٩ نسكيات بمكتبة دير السريان العامر.

بما يفوق القدر والطاقة ففي هذا الوقت يا إخوتي من هو ترى يوجد محصناً بالأمانة وراسخاً في ذهنه وثابتاً غير متزعزع حاوياً ختم الصليب ابن الله الوحيد في نفسه الذي هو علامة إتيانه المقدس ويضع نصب عينيه ذكر حضور الإله مخلصنا يسوع المسيح المجيد في كل لحظة في كل يوم حتى إذا أبصر حزناً مثل هذا محدقاً بكل نفس ولا عزاء له من أي جهة وإذا أبصر كافة العالم معاً قلقاً وكل أحد هارباً ليختفي في الجبال ولا يوجد من يرحم ولا تكن راحة لا في الأرض ولا في البحر ولا عزاء في أي موضع حينئذ يكون راسخاً ثابتاً بذكر اسم ربنا يسوع المسيح.

فمن ذا ترى يحتمل تلك الأوجاع أو من ذا يصبر على ذلك الحزن المهول الذي يصيب كافة العالم والشعوب فإذ كثيرون يسجدون قدامه هاتفين برعب وخوف شديد قائلين له: " إنك أنت مخلصنا ابن الله " حينئذ يا إخوتي يتكدر البحر ويضطرب ويصير أسفله أعلاه وفي ذلك الوقت تجف الأرض والسماوات لا تمطر أيضاً حينئذ تذبل كافة الأشجار والنباتات ولا يكون هناك أثمار وكافة الناس الموجودين على الأرض يهربون برعب وفزع شديد من المشارق إلى المغارب ومن المغارب إلى المشارق ومن الشمال إلى الجنوب ومن الجنوب إلى الشمال لأن هذا

التنين الذي هو ضد المسيح يأخذ مثل هذا الإمهال والسلطة ويبعث رسله إلى كافة أقطار المسكونة ينذرون الناس جميعاً بأن قد ظهر ملك كبير بمجد عظيم فهلم يا معشر الناس للالتقاء به ولتشاهدوا مجده.

يا ليت شعري من يكون له نفس ثابتة بإيمان راسخ فيستطيع أن يحتمل تلك المحن والشكوك معاً فمن هو الذي يستحق أن يأخذ الطوبى لأجل صبره. فإني يا إخوتي المحبين للمسيح قد ذهلت من ذكر التنين المارد وارتعد قلبي وتحننت على القديسين الموجودين في ذلك الوقت لعلمي بالحزن الكائن حولهم وقساوة ضد المسيح وتجاسره عليهم بعد عقوبات وعذابات مرة يغلبون قساوته وخيالاته وبطلبات كثيرة وبدموع ونحيب لله فإن الله القدوس إذا أبصرهم هكذا محتملين مثابرين بأمانة خالصة يتحنن عليهم مثل أب محب لابنه ويحفظهم حيثما كانوا لأن هذا الخبيث لا يستقر طالباً القديسين في الأرض والبحر مفتكراً في ذاته أنه قد ملك على الأرض وسيخضع له الكل ظاناً هذا الشقي أنه يقاوم الرب إذا أقبل في تلك الساعة غير عارف بضعفه وبكبريائه الذي به سقط. فمن هذه الشدة العظيمة والحزن المفرط والضيقة التي لا توصف يقصر الله تلك الأيام لأجل

أحبائه لأن لو لم تقصر تلك الأيام لم يثبت أحد من البشر لذلك يعظنا دائماً الرب بأن نسهر ونصلي في كل حين لكي نستحق أن نخلص من ذلك الحزن وهذه الشدة العظيمة وأيضاً فلنبتهل أن لا يصير هربنا في شتاء ولا يوم سبت. فصلوا إذاً يا إخوتي الأحباء دائماً بعبرات كثيرة وزفرات طالبين إلى الله لكي يخلصنا نحن الخطاة ولنسأله بتضرع وخشوع أن ننجو من ذلك الحزن العتيد أن يأتي على الأرض ولا نبصر بالكلية الوحش نفسه ولا نسمع تهويلاته. فنحن يا إخوتي محتاجون إلى صلوات كثيرة وعبرات حتى يوجد كل أحد منا ثابتاً في المحن والشكوك والخيالات الرديئة التي لهذا المقاوم والمحارب لله لأنه يريد ان يهلك الجميع ويخدع الناس لكي يؤمنوا به ويحتال في أن يأخذ عنهم ختم الصليب ويعطيهم عوض ختم المسيح ختمه المعاند للمسيح، فيأتي يريد أن يخدع الكل في نهاية الأوقات في الأيام التي يسمح له بها الله. وأصغوا يا إخوتي إلى فرط حيل التنين وكيف يضيق على الإنسان حتى يأخذ ختمه وليس ختمه عبثاً بل إنه يختم الرديء في عبادته برسمه في يد الإنسان اليمنى وجبهته حتى منذ ذلك الوقت لا يكون لأحد سلطان أن يختم على وجه ذلك الإنسان رشم الصليب. واسمعوا يا معشر محبي المسيح عن حيل هذا الخبيث كيف أغوى بني

إسرائيل بعد خروجهم من أرض مصر وكيف احتال هذا الغاش عليهم لكي يصنعوا الخطية الرديئة ويبتعدوا عن عبادة الله وكيف أهجس لبلعام بأن يشير على بالاق ملك المديانين بان يقيم نساء في ظاهر المدينة عاريات بوقاحة حتى يخدع الشعب إلى الزنا ويبعدهم عن عبادة الله. اعلموا أن الغاش هذا يعلم جيداً بأن صليب المسيح يحل جميع قواته الشريرة فلهذا يريد أن يختم يمين الإنسان حتى لا يقوى على رشم الصليب المقدس فلا ينهزم.

فيا إخوتي الأحباء الجهاد موضوع أمامنا في تلك الأوقات ولا سيما القديسين أيضاً لا يقصرون في عبادتهم وإرضائهم للرب إلى آخر نسمة في حياتهم كحسب وصية الرب القائلة: " الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهَذَا يَخْلُصُ " (١) فلنتحصن دائماً بعلامة الصليب ونتبع وصايا مخلصنا الصالح فهو أيضاً لا يتخلى عنا ويصوننا ويستر علينا فلا نهلك.

وبعد أن يكمل التنين المقاوم أيام سلطته ويتمم جميع أعماله وآياته حينئذ يأتي رب المجد جهراً مثل البرق الساطع على سحاب السماء بمجد رهيب وقوة لا تقاس ويتقدم أمامه الملائكة القديسون

---

(١) مر ١٣: ١٣.

ورؤساء الملائكة الأطهار الذين لا يحصى عددهم وبين يديه علامة الصليب وقدامه نهر عظيم من نار متموج بلهيب مهول ومتشامخ إلى العلو والشاروبيم والسيرافيم حاملين عرشه ناظرين إلى أسفل وساترين وجوههم وأقدامهم بأجنحة نارية غير قادرين على النظر إلى مجد بهائه ويصرخون ويقولون: " قدوس قدوس قدوس رب الجنود السماء والأرض ممتلئتان من مجدك مبارك الآتي باسم الرب والسبح له في الأعالي ". وصوت بوق يهتف عالياً قائلاً: " قوموا أيها الموتى انهضوا أيها الأحياء ها قد أقبل الختن وها قد أتى ملك الملوك ورب الأرباب اقبلوا إلى لقائه ". حينئذ تتفتح القبور وتنشق الأرض ويسمع التراب أعني الأجساد التي بليت وتحولت إلى تراب صوت حضور إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح وفي طرفة عين يقومون من الموت وحينئذ يعاين الصديقون جمال الختن المشوق إليه والذي لا يوصف ويسرون ويفرحون فرحاً عظيماً أولئك الراسخين الثابتين في الإيمان الذين لم يأخذوا ختم ضد المسيح وبدالة كثيرة وفرح مجيد يسجدون للختن السمائي وبتهليل كثير يدخلون معه إلى ملكه وخدره الذي لا يوصف. أما الذين أخذوا ختم الرجس والخبيث المنافق يخزون ويخجلون ويحضر ذلك المارد الكلي النجاسة مقيداً بسلاسل نارية مع جميع شياطينه وكافة الذين أخذوا ختمه مع

جميع المنافقين والخطاة وكل الأشرار أمام المنبر العظيم فيعطي ملك الملوك القضية عليهم بالعقوبة الدهرية التي لا فناء لها وهكذا يرسلهم مع ضد المسيح إلى الظلمة القصوى حيث البكاء والنحيب والنار التي لا قرار لها والتي لا تخمد ولا تنطفئ وحيث قعقعة الأسنان الدهرية، فليعطنا الرب يا أحبائي ان نبتهج ابتهاجاً مع الختن السمائي في حجلته الأبدية ونفرح فرحاً مجيداً لا ينطق به مستمتعين بتلك الخيرات الدهرية التي لا تفسد مع كافة القديسين في ملك ربنا يسوع المسيح الذي لا انقضاء له مسبحين وممجدين دائماً اسم الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس إلى دهر الدهور آمين.

صلوا لا يكون هربكم في شتاء ولا سبت

للقديس مار أفرام السرياني [1]

إن الـذين يطلبـون الجـواهر في أعمـاق البحـر فهـم مخـاطرون بأنفسهم لأنهم لا يعلمون ماذا يلقون من سباع البحر فيتسلحون ويحمون أنفسهم بأشياء كثيرة لئلا تدنوا منهم سباع البحر فتأذيهم كما أن أيضاً لهم على حافة البحر أعوان لمساعدتهم وينتظرون منهم ما هو لرجائهم من الجواهر التي يخرجونها ليستغنوا بها وإذا ما صاروا بها إلى الملك ودفعوها إليه ينتظرون منه بدلاً منها جوائز لا تقدر قيمتها كذلك نحن أيضاً إذا أردنا أن نغطس في عمق هذا البحر الروحاني الذي هو كلام الله المخفى في الكتب المقدسة نغطس فيها بالعقل ونخرج منها جوهر لا ثمن له الذي يفرح به أبناء الكنيسة الذين هم للمسيح الملك السمائي فلذلك نريد أن نتسلح بعون الصلاة ليأتي الروح القدس إلينا وينزع من عقولنا كل أفكار الخبيث والسباع القاتلة التي هي الإعجاب والعظمة ويغرس داخل العقل الاتضاع والمحبة والإيمان به ونظهر الجوهر الذي يفرح أبناء المعمودية المقدسة. فلنأتِ الآن إلى الكلمة التي قالها ربنا يسوع المسيح في الإنجيل الذي هو

---

(١) مخطوط رقم ١٧٩ نسكيات بمكتبة دير السريان العامر.

البحر الروحاني الذي لا قياس له فإذ يقول: " صَلُّوا لِكَيْ لاَ يَكُونَ هَرَبُكُمْ فِي شِتَاءٍ وَلاَ فِي سَبْتٍ "[1].

ألم تروا يا أحبائي كيف ينشطنا السيد المسيح له المجد إلى الصلاة فإنه يناشدنا في موضع آخر قائلاً: " اسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلاَّ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ "[2] فبحق يجب علينا أن نصلي صلاة دائمة بدموع حارة بأن لا يكون فرارنا لا في شتاء ولا في يوم سبت، تأملوا الرب لا يقل رحيلكم أو انتقالكم إنما قال هربكم لأن الذي يهرب لا يقدر أن يلتفت إلى خلفه ليأخذ شيئاً من ماله ويكون حزنه شديد لو كان هذا الهرب في شتاء وفي يوم سبت حيث اليهود لا يعملون ولا يوقدون ناراً ولا يخرجون في طريق فالذي يكون هربه في شتاء وفي سبت سيلقى وحلاً ومطراً ورياحاً وثلجاً ولا أحد يلقاه في الطريق ليعينه لأنه يوم سبت وإن وقع حماره فليس أحد ينهضه معه وإن دخل قرية لا يجد أحداً يقابله ليفتح له لأن الأبواب كلها مغلقة والنار منطفئة لأنه يوم سبت فترى أي حزن أكثر من هذا للذي يهرب في شتاء وفي يوم سبت وعموماً الذي يهرب يكون في ضيقة وفي شدة لذلك يهرب

---

(١) مت ٢٤: ٢٠.

(٢) مت ٢٦: ٤١.

تاركاً بيته وماله ويهرب غير عالم ماذا يصيبه أو ماذا يحدث لبيته فبيته قد يخرب وماله قد يتبدد لذلك قال السيد المسيح أن نصلي لئلا يكون فرارنا في الشتاء ولا يوم سبت. وينبغي لنا ألا نقبل كلام السيد المسيح بالمعنى الجسدي فقط وإنما كلامه له معنى روحي أيضاً لأنه من أجل خلاص الروح أتى متجسداً لكي يخلصها فالسيد يقصد أن نصلي لا يكون فرار النفس من الجسد في الشتاء الروحاني وحيثما تكون النفس في شتاء روحي فهي تكون في الوحل وطين الخطية وتكون مظلمة بالأعمال الرديئة وتهب عليها رياح الشهوات وأمطار اللذات لذلك تنزلق وتقع ولا تجد من يعينها لأنها في يوم سبت والسبت الروحي أي اليوم الذي يبطل فيه عمل الخير وليس فيه رحمة ولا صدقة ولا صلاة ولا ذكر الله.

فكم يكون حزن وألم وشدة النفس التي تخرج من الجسد وهي في ظلمة الخطية فإنها تبكي وتتنهد لأن ليس لها من يعزيها ولا صديق يعينها ولا أحد يفتح لها باب الرحمة لأنه لم تفتح باب الرحمة للآخرين ولا تجد أحد يقبلها لأنها لم تقبل الغرباء عندها وليس أحد يرطب لسانها من شدة العطش في لهيب جهنم لأنها لم ترحم المساكين وكما تعاظمت في الدنيا تذل هنا في الجحيم وكما تنعمت هكذا تتعذب

أليس كان هكذا حال الغني الذي لم يشفق على لعازر المسكين؟ حقاً كان لسان حاله يصرخ قائلاً الويل لي لأني ما سمعت كلام الكتب المقدسة فكنت أصم أذني وكنت أبصر المساكين والمرضى والمساجين وأصرف وجهي عنهم، الغرباء كنت أنتهرهم وأحتقرهم والمساكين كنت استغنم متاعبهم والأرامل والأيتام لم يرق قلبي عليهم فقد كنت أبدد خيرات الله في الفسق والسكر والزنا واللذات لهذا أنا مستوجب هذا العذاب لذلك ناشدنا يا سيدنا ومخلصنا الصالح ألا يكون خروجنا من هذا الجسد في شتاء الخطية ولا في السبت أي في البطلان من عمل الخير.

لذلك يا إخوتي الأحباء بني الكنيسة إذ لنا زمان وأجل في هذه الحياة فلنفعل فيه الخيرات كما قال معلمنا بولس الرسول: " فَلاَ نَفْشَلْ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ لأَنَّنَا سَنَحْصُدُ فِي وَقْتِهِ إِنْ كُنَّا لاَ نَكِلُّ فَإِذاً حَسْبَمَا لَنَا فُرْصَةٌ فَلْنَعْمَلِ الْخَيْرَ لِلْجَمِيعِ " [1] افعلوا يا إخوتي الخير ولا تملوا لأنه يأتيكم زمان تحصدون فيه عملكم كما قال معلمنا بولس الرسول: " فَإِنَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ الإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ

---

(١) غل ٦: ٩، ١٠.

أَيْضاً " [1] فأي رغبة تكون لنا في هذه الدنيا الفانية؟ فهل نرغب في المال أم في الأصدقاء الذين هم اليوم لك وغداً لغيرك؟ أم نرغب في جمال الشباب الذي في لحظة يتبعه المرض فيغير حسنه كمثل الزهر الذي تضربه الشمس؟ أم نرغب في الطعام والشراب والملذات التي تصير ذات رائحة نتنة؟ واعلموا أي شيء نمتلكه في هذا العالم يعتبر كشيء مستعار عندما نخرج منه يصير لآخر فهل نفتخر بالأشياء التي ليست لنا؟ فلأي شيء نقاتل ثم يؤخذ منا غداً وفي أي شيء نرغب وهو لا يدوم لنا وغداً نكون غرباء منه؟ وربما تجيب وتقول أن الرغبة موجودة في الطبيعة فأنا أقول لك أن الرغبة في الطبيعة هي أن ترغب في الأشياء التي تبقى لا في الذي لا يبقى، ارغب في الآخرة لأنها باقية وغناها لا يفنى فأكثر من كنزك فيها فإنه لا يؤخذ منك ولا يقدر شيء يفرقك منه، لا زمان يتغير ولا سلطان ظالم ولا لصوص ولا موت هناك ففي هذا ينبغي لك أن ترغب وفي الأبدية يجب أن تحب وتتشوق إليها وتهذي ليلاً ونهاراً في هذا الغنى الروحي الذي يفرح النفس وينير العقل ويعزي عزاء ليس له قدر فطوبى لمن كان رحيله وليس فراره إلا في مثل هذا الصيف الروحاني وفي أيام العمل لأنه يخرج بفرح حيث

---

(١) غل ٦ : ٧.

يعرف إنه لا يبالي حيثما سلك ليلاً أم نهاراً ولا إلى أين ينزل لأنه وقت صيف فيه الغلات كثيرة والأثمار طيبة والمنازل نظيفة وأصدقاء وأحباء يستقبلونه في منازلهم ويكرمونه ويفعلون به أفضل مما فعل بهم لأنه أكرمهم وطيب خاطرهم ونيحهم في جوعهم أشبعهم وفي عريهم كساهم وفي سجونهم تعاهدهم وفي مرضهم عزاهم وإن كان عليهم دين قضاه وكل ما اشتهوا أعطاهم فبحق ينبغي أن يكرموه بالكرامة التي هم فيها وأفضل ويمدحوه ويشرفوه عند الملك السمائي حيث يشهدون له قائلين: " هذا الذي كان يعزينا في الدنيا فعزيه يارب في فرحك الذي لا يزول ". حينئذ الملك السمائي وهو على منبره يدعوه ويقيمه عن يمينه والملائكة ورؤساء الملائكة وكل الأجناد قيام قدامه بخوف ورعدة ويمدحه ويشرفه مع كل العبيد الصالحين الذين فعلوا مثله ويقول لهم أنتم أحبائي كنت جائعاً فأطعمتموني وكنت عطشاناً فسقيتموني وكنت عرياناً فكسوتموني وكنت مريضاً فزرتموني وفي الحبس افتقدتموني وهم ينكرون ذلك ويقولون متى يارب فعلنا لك هذه الأشياء؟ فيجيبهم ويقول حيث عملتم بهؤلاء الصغار الذين آمنوا بي فبي فعلتموه.

ألا ترون يا إخوتي ما هو عظم شرف القديسين الذي يعطيه السيد المسيح للذين يطيعونه في هذه الدنيا. فلنسأل ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح بشفاعة والدته القديسة الطاهرة مرتمريم وملائكته المقدسين والرسل الأطهار والتلاميذ المكرمين والشهداء المكللين والمعلمين الطاهرين والآباء الصالحين أن يعطينا العون من قبله أن نعمل مرضاته ونحفظ وصاياه ونسبح اسمه القدوس فينا نحن بني المعمودية المؤمنون به إلى دهر الداهرين آمين.

اليقظة وربح الحياة الدائمة

رسالة من القديس يعقوب السروجي لأحد أحبائه [1]

أيها المحب لله حسناً لك أن تسعى بأعمال البر ويليق بنفسك المستنيرة المحبة لله أن تزرع الصلاح كل يوم. فإنه ياتي زمان تحصد فيه أتعابك هذه وتفرح. فلا تمل من زرع الحسنات لأن الفلاح إذا ما زرع زرعاً فليس بالزرع يفرح ضميره بل بالبيادر الممتلئة غلات. هكذا إذا ما أحست النفس بالعالم الجديد احتقرت قنية هذا العالم الزائل وتسرع لتفرق بفرح كل شيء تقتنيه على المحتاجين ليكون لها هذا كنزاً في المكان المضيء الممتلئ خيرات لصانعي الخيرات. هذا العالم المضطرب هو عشب وحشيش وزهر سريعاً يذبل وهو كظل أيضاً سريع الزوال وهو أيضاً كوردة جميلة حسنة بسرعة تضمحل ويفسد حسنها وغناه هو مفرح للنائم وسريعاً عندما يستيقظ لا يجد شيئاً لأنه قنية غير حقيقية. فاستيقظي أيتها النفس المفرزة للرب والبسي درع الإيمان بالرب، وازهدي من المناظر الليلية وتعالي تنعمي بالأنوار الحسنة النهارية. يزول العالم وتفتضح أحلامه وينحل وتبطل قنيته لأن الظلمة التي أدخلتها الحية انقشعت بنور الصليب الغني والرياسة التي ملكت

---

(١) مخطوط رقم ٢٠٦ ميامر وعظية بمكتبة دير السريان العامر.

من شجرة المعرفة انحلت بثمرة الحياة الذي أشرق من مريم العذراء. انحلت حراسة الفردوس وأعطى المفتاح للص اليمين لقد انحل الرمح الكاروبيمي وانفتحت طريق الفردوس. معلم عظيم نزل من السماء وصار يعلم العالم واستضأت الخليقة بتعليمه بان لا أحد يشتهي قنية هذا العالم الزائل. نعم لقد قال: " لاَ تَقْتَنُوا ذَهَباً وَلاَ فِضَّةً وَلاَ نُحَاساً فِي مَنَاطِقِكُمْ وَلاَ مِزْوَداً لِلطَّرِيقِ وَلاَ ثَوْبَيْنِ وَلاَ أَحْذِيَةً وَلاَ عَصاً " [1] لأن الطريق في هذا العالم صعبة ومرهبة وممتلئة غش فجوزوا جوزوا فيها واخرجوا من هذا العالم ولا تتمسكوا بأموره ولا تهتموا بالغد فيكفي اليوم شره. اطرح القنية خلفك ولا تتفرس في الغنى. كن غريباً عن بلدك ومسكنك وجنسك فالفردوس مفتوح أمامك منتظراً دخولك مع المساكين فلا تكنز لك كنزاً في الأرض فإنك دُعيت إلى السماء ولا تتأمل أبداً بالأرضيات. أصبحت مولوداً لله من الماء والروح ودم ابنه فداك ودعاك لترث معه ملكوت السماوات. فالآن اعمل كالأجير وخذ ملكوت السماوات أو خف كالعبد واهرب من النار التي تهدد الخطاة او اخدم الآب كمحبة البنين وهذا هو الكمال. ابغض الشرور لتتخلص من النار واصنع الصدقات لأنها

---

(١) مت ١٠: ٩، ١٠.

الجسر الذي يعبر منه صانعوها من النار. نعم تسمع صوته يقول لك لأني كنت جائعاً وأعطيتني لآكل وكنت عطشاناً وسقيتني فمن أجل هذه وأمثالها تعال لترث ملكوت السماوات.

فمن هو الذي لا يشتاق لسماع هذا الصوت المقدس ويفرق جميع مقتناه على المحتاجين إليها. فالحياة الأبدية لا منتهى لها ولا انقطاع للجحيم. فيدخل العريس ويُغلق باب العرس ولا يفتح للذين يقرعون لئلا يهان العرس لأنهم جهلوا وصاياه وما فعلوا أقواله، يقولون: " يَا سَيِّدُ يَا سَيِّدُ افْتَحْ لَنَا "(١) فيقول لهم: " الْحَقَّ أَقُولُ لَكُنَّ: إِنِّي مَا أَعْرِفُكُنَّ "(٢) أما لمختاريه فيقول: " تعالوا يا مباركي أبي رثوا ملكوت السماوات لأنكم صنعتم الصدقات وزرعتم الحسنات وفعلتم جميع إرادتي "(٣) نعم عادل هو وحكمه مستقيم وحسناً لنا أن نقول أنت يارب بار وعادل وأحكامك مستقيمة جداً واستقامتك بلا لوم، فبعدالة يسقط الخاطئ في النار الأبدية لأنه وضع في قلبه وفكره ان يخطئ للأبد، وبعدالة يستحق الأبرار الحياة الأبدية لأنهم أعطوا أنفسهم وأجسامهم وأرواحهم وكل مقتنياتهم وجميع معيشة حياتهم ليسعوا في طريق البر

---

(١) مت ٢٥: ١١.

(٢) مت ٢٥: ١٢.

(٣) راجع مت ٢٥: ٣٤ – ٤٠.

إلى الأبد. فأنت يا رجل الله لا تتأمل حسنات فعلتها وإنما انس ما هو وراءك وامتد إلى قدام فإذ أشرقت الشمس في كل صباح جديد ابدأ بعمل الحسنات وابدأ بعمل الصالحات ولا تكل لأنك متشوق لملكوت السماوات. لقد دعى اسم المسيحية عليك فبتدبير المسيحية دبر أعمالك واتعب ذاتك لعمل الفضائل لئلا تهان المسيحية بأعمالك. وإن دعيّ اسم البتولية عليك فاعمل أعمال توافق البتولية وإن كنت متزوجاً فاحفظ زواجك طاهراً. فإن كنت عائشاً بالقداسة أليس سلاح البر الصوم والصلاة والتقشف والنسك فبالجوع اغصب نفسك وجسدك بالعطش اجعل نومك قليلاً لتستضيء بالقداسة وتسر بالطهارة. إكليل القداسة يطالبك بالجهاد ، الجهاد ضد شهوة جسدك ونياح جسمك تجاهد لتحصل على سكون النفس فاحفظ من النظر عينيك ومن السمع أذنيك ومن الأفكار الباطلة قلبك. فبالجهاد تغلب من الداخل وبالقتال تغلب من الخارج. فتقاتل ضد النظر في النهار وضد النوم بالليل لأن ليس إكليل بغير جهاد وليس غلبة بغير قتال فلا توجد أجرة من غير أعمال فهكذا لا يوجد نياح بدون أعمال ولا يوجد اتساع ورحب بدون ضيقات. فكل من ترك العالم من أجل السيد المسيح يرث العالم المزمع الذي وعد به القديسين. كل من يترك مملكة الأرض يرث

ملكوت السماوات وكل من ترك أباً أو أماً أو إخوة يصير ابناً للروح القدس وأخاً للسيد المسيح وحبيباً للآب السماوي. كل من ترك غنى أرضي يرث غنى سمائي فكل من ترك قنية أو مباني أو لباس أو زينة أو مجد أو أفراح هذا العالم المتغيرة والمقلوبة إلى أحزان سيأخذ عوض ذلك عالم سمائي غير زائل ونياح حسن غير فاسد ولباس المجد وإكليل النور وحلة الكرامة وتاج الملكوت. فإن كان فيك روح المعرفة السمائية ستفهم ما كتب لك ولا تزدري بأحد من أولئك الصغار لأنهم في كل ساعة ملائكتهم ينظرون وجه الله. فالملاك الذي يدبر كل واحد منهم فمتى عملت صدقة لأحدهم يصعد إلى الله ويقول قدامه: " يا سيدي عبدك المسكين المريض المحتاج المضنك الممتلئ بالشدائد أتى فلان ونيحه وشجعه وأطعمه وأسقاه وألبسه وعزاه في شدائده فعوضه عن أتعابه حسب قولك في هذا العالم بمائة ضعف وفي العالم المزمع الحياة الأبدية.

يا أخي الحبيب كتبت لك لئلا ترتخي نفسك وتكون سبباً لعثرة الذين يتشبهون بك فمن أجل هذا أشير عليك أنك منذ صباك اخترت أن تحمل نير الرهبنة على عاتقك فيصلح لك أن تجلس وحدك في الهدوء وتمتنع عن مفاوضات الناس ومن الاهتمامات التي تعيق نفسك

واجعل نفسك كالتراب بالاتضاع لكل أحد ولا يكف البكاء من عينيك واجعل مسكنك موضع الحكم لإدانة شخصك وصور قدام عينيك الملكوت والجحيم والموت والحياة وأيضاً صور أمامك النار التي لا تطفأ والظلام وصرير الأسنان الذي ينتظر الخطاة والنعيم الأبدي والحياة والسرور والمجد والفرح الذي ينتظر الأبرار الذين قدموا لله أنفسهم وأجسادهم وأرواحهم قربان مقبول وكانت صلواتهم وأصوامهم وعرق سجداتهم رائحة طيبة أكثر من رائحة أفخر الأطياب قدام الله الذي اختارهم. واجعل مسكنك خالياً من الزائدات ويكفيك ما تحتاج إليه. ضع في قلايتك ما يرضي الله العارف بجلوسك وقيامك والعارف بدخولك وخروجك وكن مداوماً للصلاة واهتم بعمل الصالحات حينئذ الله الرحوم يأتي إليك ويعينك ويبطل عنك قوة العدو ويحفظك ويقويك ويلقي فيك الأفكار الحسنة لتكمل إرادته الصالحة. فاعرف دعوتك ولا تهمل حياتك وليعطيك الرب أن تختار ما ينفعك ويربحك الحياة الأبدية بالمسيح يسوع ربنا الذي له مع أبيه وروح قدسه المجد والإكرام والسجود الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين، آمين، آمين.

الفهرس

الموضوع	صفحة
تقديم نيافة الأنبا متاؤس	٨
الدينونة المعدة للخطاة ومجازاة الأبرار للقديس مار أفرام	١٢
الدينونة وتخضع النفس للقديس مار أفرام	١٨
مجيء ربنا يسوع المسيح وعمل الفضيلة للقديس مار أفرام	٢٩
يوم الدينونة وحفظ الحواس للقديس مار أفرام	٣٤
يوم الدينونة وعدم القنية وصنع العدل للقديس مار أفرام	٣٨
ما هي علامة مجيئك؟ للقديس مار أفرام	٤٩
يوم الدينونة للقديس يعقوب السروجي	٥٢
العقاب الأبدي والدينونة العادلة للقديس يوحنا ذهبي الفم	٥٧
في محبة الله وعقاب الأشرار للقديس يوحنا ذهبي الفم	٦٦
في يوم القيامة العظيمة للأنبا يوساب الأبح	٧٤
انقضاء العالم وإتيان ضد المسيح للقديس مار أفرام	٨٠
صلوا لئلا يكون هربكم في شتاء للقديس مار أفرام	٨٧
اليقظة وربح الحياة الدائمة للقديس يعقوب السروجي	٩٤
الفهرس	١٠٠

FINE CO. (202)24655111

حـ
٥,٠٠